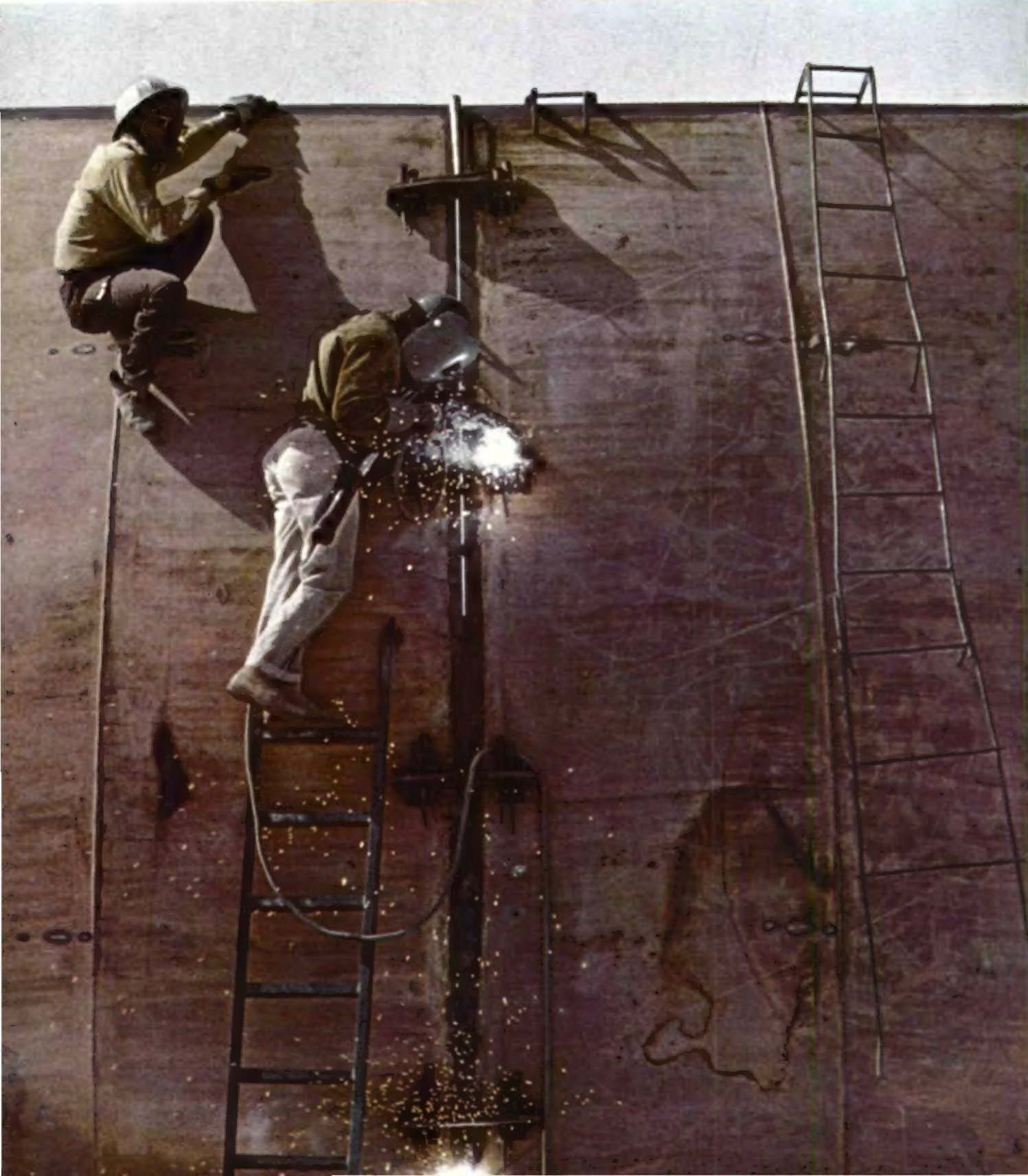


قافلة الزيت

ربيع الثاني ١٣٨٦

يوليو - أغسطس ١٩٦٦



خَاطِرٌ وَسَوَاحِجٌ

الصفحة

١	القافلة تسير
٢	صفحات مجهولة في الأدب العربي المعاصر
٤	العقاد في « أم القرى »
٥	حاول أن تجيب
٦	مربيتي - قصيدة
٧	معهد التدريب الفني لمطار الظهران الدولي
١١	معاجمنا اللغوية
١٢	طرائف
١٣	الشعر ليس نظاماً وقافية وحسب
١٤	من تراث العرب
١٥	أرواد : في ماضيها وحاضرها
٢٠	غريب - قصيدة
٢١	شعراء مغمورون في العصر الجاهلي الإسلامي
٢٣	سيكولوجية الرسالة
٢٥	اللحام .. أهميته في الصناعة
٣٠	الحركة الأدبية في العالم العربي
٣١	جولة في الشعر العربي المعاصر - كتاب الشهر
٣٤	المرقب الراداري
٣٧	أديسون
٤١	صفحات من تاريخ المرأة العربية
٤٣	لقاء مع الأمل - قصة
٤٧	فن المحادثة - ركن المنزل
٤٩	الصفحة الضاحكة

صورة الغد

للحام ... (راجع المقال)

تصوير : مودي



تصميم وطباعة مطابع الطبع

Designed and printed by Al-Matba'at Press, Dhahran, Saudi Arabia

قافلة الزيت

العدد الرابع المجلد الرابع عشر

مديرها ورئيس تحريرها
مؤلفها
المحرر المساعد

تصدر شهرياً عن:
شركة الزيت العربية الأمريكية
لوظائف الشركة - توضع بجنتنا

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ - الظهران ، المملكة العربية السعودية

فؤاد الزيت

صحف العرب في الأدب العربي المُعاصرة

بقلم الأستاذ انور الجندي

تست في السنوات الأخيرة دراسات الأدب العربي المعاصر ، وصدرت مؤلفات متعددة ، وجرت أبحاث متحررة تناولت آداب الأمة العربية جملة ، كما تناولت آداب الأقاليم المختلفة ، والعصور المتعددة ، وظهرت دراسات تناولت فنون هذا الأدب من شعر وقصة ونقد ونثر وصحافة وأدب نسوي . كما تناولت هذه الدراسات تراجم الأدباء والكتاب والشعراء والصحفيين جميعا . غير أن هناك جوانب أخرى ما تزال في حاجة إلى دراسات شاملة وموضوعية حتى تستكمل الصورة ، وهناك صفحات مجهولة ونقاط غامضة تحتاج إلى الكشف عنها والتنقيب حولها ، ومن أبرز هذه الميادين : الرحلات ، والرسائل ، وصورة العصر ، وتراجم الاعلام الغمورين . وقد أتبع لنا أن نتناول في قافلة الزيت الزاهرة أمر هذه التراجم وبقي أن نتحدث عن الجوانب الأخرى .

أدب الرحلات :

ما زال (أدب الرحلات) في الأدب العربي المعاصر في حاجة إلى مزيد من الكشف عن صفحاته . وهذه المادة خصبة ضخمة مدفونة في بطون الصحف والدوريات . وباستثناء ما نشر من مؤلفات لهؤلاء الرحالة ، وهو قليل جدا ، لا يكاد يصور حقيقة الرحلة والهجرة ويكشف دوافعها وبواعثها ونتائجها ، ومدى الخبرات التي أضافها إلى التراث الأدبي ، والآفاق التي فتحتها أمام الرحالة والمهاجرين . وقد امتدت هذه الرحلات إلى أوروبا ، وإلى فرنسا بالذات وبريطانيا ،

ثم امتدت إلى العالم الجديد ، إلى الأمريكيتين حيث أقام كثيرون من أدباء المهجر في بوسطن وفي البرازيل وفي غيرها ، كما سافر كثيرون في أنحاء العالم العربي ، وجاوزوه إلى جنوب إفريقيا ووسطها ، وإلى الصين والهند وجاوه والملايو . وتكشف الدوريات ، في فترة الثمانين عاما الماضية ، والتي راجعت أغلبها عن عشرات من هذه الرحلات التي كم نشرت عنها الفصول الطوال والقصار وتوالت ، والتي حررها كاتبوها من أماكن زيارتهم وبعد عودتهم ، وضمنوها مشاعرهم وانطباعاتهم ، وآراءهم ومواقفهم بالنسبة لما شاهدوه من بلاد وحضارات ، وما التقوا به من أهل تلك الأوطان . وقد اختفت هذه الفصول في أعماق الأضابير ، وذهب أصحابها دون أن يعرفهم عارف أو ينتفع أحد بما كتبوا . وهذه الصور والحلقات ما زالت تملأ صحف الأهرام ، والمقطم ، واللواء ، والمؤيد ، ومجلات الهلال ، والمقتطف ، والمشرق ، وعشرات من صحف ومجلات أخرى أقل شهرة وذيوغا .

وقد استطعت أن أحصي عددا غير قليل من هذه الرحلات ، منها رحلات : داود بركات المتوالية على السنوات ، ورحلات خليل ثابت ومحمد عبد الله عنان . وقد ذهبت هذه الرحلات إلى المشرق والمغرب وأوروبا ، وزار أصحابها كثيرا من الأماكن التاريخية فسي باريس وتركيا والمشرق ، ورحل محمد فريد إلى الجزائر وتونس وفرنسا ، وسافر الشيخ محمد عبده إلى المغرب وأوروبا ، وسافر لطفي السيد وقاسم أمين إلى تركيا وسويسرا ، وذهب سلامة

موسى إلى الجزائر ، وأحمد فهمي العمروسي إلى مراكش ، وعزيز المصري إلى إيران وسوريا والعراق ، وأمير بقطر إلى أغلب بقاع الأرض ، وسافر محمود عزمي إلى الشام والمغرب والحجاز ، ومحمد علي إلى أمريكا واليابان . وكتب كل من هؤلاء فصولا متعددة ، تضمنت صورا وأحاديث . وهناك « محمود رشاد » الرحالة الذي لم ينقطع عاما واحدا عن الرحلة ، وهو صاحب « المرسليات » التي كتبها من مرسيليا والتي نشرتها الأهرام له ، وله « رسائل مصري من أوروبا » منذ ١٩١٢م . وإذا كانت رحلة رفاعة الطهطاوي إلى فرنسا في ثلاثينيات القرن التاسع عشر قد لقيت ذلك الاهتمام البالغ ، فإن هناك رحلات مشابهة تمت في الوقت نفسه لبعض أعلام الجزائر والمغرب سجلوا فيها مشاعرهم وآراءهم . وما زالت رحلات عبد العزيز الثعالبي إلى أطراف العالم الإسلامي خلال ثلاثين عاما في الصحف المصرية والعراقية ، في رسائل ومقالات تناولت مختلف شؤون العالم الإسلامي .

ومن هذا التراث الضخم يستفيد الأدب العربي كثيرا إذا ما أعيد كشف هذه الصفحات . فأنها تصحح كثيرا من وقائع التاريخ ، وتلقي أضواء على كثير من المواقف ، وتحقق كثيرا من جوانب الفكر ، ومعالسم الأدب ، وتراجم الاعلام .

وفي السنوات الأخيرة نشرت الصحف كثيرا من الفصول عن رحلات حديثة ، ما زالت أيضا على قرب العهد بها ، بعيدة عن التناول والانتفاع بها ، وكل هذا جدير بأن يغربل ويدرس ويقدم

من جديد في صورة منسقة علمية ، ولا شك أن « فن الرحلة » قد تطور مع تطور الأدب العربي ، حين خرج من مرحلة التقليد والزخرف الى مرحلة التعبير الدقيق وتغليب المضمون .

أما رسم الصورة فقد كان أول أمره ساذجا يسيرا ، ولم يكن في جملة أكثر من سرد وتسجيل متصل للأحداث مع توالي الأيام ، ثم تطور من بعد فأصبح تصويرا للمشاعر من خلال الوقائع .

فاذا أضيف الى هذا مراجعة شاملة لما نشر من مؤلفات عن الرحلات ، أمكن رسم صورة كاملة . وما تزال هذه المؤلفات قليلة فهي لا تعدو أن تكون متمثلة في هذه المؤلفات :

« تخلص الأبريز في تلخيص باريز » لرفاعة الطهطاوي ، و « السفر الى المؤتمر » لأحمد زكي باشا ، و « الواسطة في أخبار مالطة » و « كشف المخبا في فنون أوروبا » لأحمد فارس الشدياق ، و « الرحلة الى ألمانيا » لحسن توفيق ، و « رحلة محمد شريف الى أوروبا » لمحمد شريف ، و « صفوة الاعتبار » لمحمد بيرم ، و « ارشاد الالبا » لعبد الله فكري ، و « من مصر الى مصر » لمحمد فريد ، و « رحلات » لمحمد لبيب التانوني ، ومحمد ثابت ، وعبد الوهاب عزام . و « ملوك العرب » لأمين الريحاني ، و « ذكريات باريس » و « وحي بغداد » لزكي مبارك ، و « غرائب الغرب » لمحمد كرد علي ، و « الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية » ، و « الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى أقدس مطاف » لشكيب أرسلان ، و « ولدي » و « منزل الوحي » لمحمد حسين هيكل ، و « رحلة الحجاز » لابراهيم عبد القادر المازني ، و « أبو الهول » لمحمود تيمور . فاذا أضاف البحث خلاصات لهذه المؤلفات الى المتناثر في الدوريات تحقق أن يظفر الأدب العربي المعاصر بدراسة شاملة لأدب الرحلات .

أدب الرسائل :

والكشف عن « أدب الرسائل » في الأدب العربي المعاصر قطاع آخر مهم ، وهو ميدان غني غاية الغنى من ناحيتين : ما هو مسطور في بطون الصحف والمجلات وما يحتفظ به الناس من رسائل .

وباستثناء ما نشر من رسائل مي وأمين الريحاني وجبران و (أحمد تيمور - انتاس الكرملي) ، ورسائل اليازجي وتوفيق الحكيم في زهرة العمر ، ورسائل الرافعي الى أبي رية ، ورسائل (رشيد

رضا - شكيب أرسلان) لا نجد شيئا مطبوعا ذا بال . بينما تضم الدوريات المتعددة لصحف العالم العربي عشرات الرسائل التي أرسلت من المتأفي والسجون والمهاجر ومن وراء البحار ، والتي أثارت عشرات القضايا الاجتماعية والأدبية . وقد حفظت مجلة « المنار » عديدا من رسائل الشيخ محمد عبده ، ونشرت بعض رسائل سعد زغلول في صحف الأهرام ومجلة « كل شيء » ، ونشرت « كوكب الشرق » و « الشورى » عديدا من الرسائل التي كتبها أحمد زكي باشا ، والتي تبادلها مع شكيب أرسلان ، الى غير ذلك من عشرات الرسائل التي تضمها الصحف وقد استطلعنا جمع بعضها .

أصور لك بعض ما تحويه هذه الرسائل أنقل هذه الرسالة التي كتبها عبد العزيز البشري الى حافظ ابراهيم على أثر خیر نشرته الصحف عن سرقة (مصوغات) من منزل شاعر النيل في حلوان فكتب البشري اليه يقول :

« راعني ما وقع الي في بعض الصحف من أن سراق الليل قد دبوا الى دارك ، راعني هذا وشغلني ، والله ما أدري ، أرثي لك أم أرثي لهم ، ولقد زعموا أنه سرق من دارك مصوغات وحلي ، ولست أعلم ان كان هذا من مبالغات الجرائد ، أم ان مجرد اقتحام اللصوص لدارك أجرى بحكم العادة كلمة (وسرقوا بعض المتاع والحلي) كما يجري دائما بكلمة (بالقضاء والقدر) في حوادث الترام . أم ان اللصوص أنفسهم هم الذين أطلقوا هذه الاشاعة عزاء لهم عما لحقهم من طول المشقة والعناء ، وسترا لما تقدم لهم من سوء الرأي وما نالهم من خيبة الرجاء . فان كانوا ولا بد قد سرقوا (صيغة) فلعلها صيغة منتهى الجموع ، وهي - كما علمت - لا تروي من ظمأ ولا تسمن من جوع .

وبعد فما الذي أغرى اللصوص بك ، فجررهم الى دارك وتخطى بهم دور الموسرين من أصحاب جوارك . لعلهم قد ساموا ما عندك من روائع القصائد فحسبوا من فرائد القلائد ، ولاح لهم من كل يتيمة ما لا تقوم به خزانة الأرض بقيمة . فاذا كانوا قد خرجوا من بيتك صفرا من المال والنشب ، فلا عجب . اذا أدركتهم عندك حرفة الأدب .

وبعد فان هناك عشرات ومئات من هذه الرسائل في حاجة الى التنقيب عنها وجمعها . ولدى الأعلام في مختلف انحاء العالم العربي

مئات الرسائل ، لأمثال طه حسين ، وهيكل ، وزكي مبارك ، والعقاد ، وكرد علي ، وشكيب أرسلان ، والرصافي ، والزهاوي ، والغلاييني ، وخليل مطران ، وشوقي ، وحافظ ، وعبد القادر المغربي ، والثعالبي وغيرهم ، يمكن أن تجمع . فاذا جمعت قدمت حقائق جديدة وتصحيحات كثيرة للجوانب الناقصة والغامضة في حياة الأدب العربي المعاصر وحياة الاعلام مما يكون له أبعاد الأثر في تاريخ هذا الأدب وتياراته .

صورة العصر :

أما الأمر الثالث فهو الكشف عن « صورة المجتمع » والعصر من خلال الندوات ، والحفلات واجتماعات البيوت والمقاهي ، وما أثر فيها من قضايا وأطفال التكريم ، وما تزال المقهى التي كانت مجلس جمال الدين الافغاني تتردد على الألسنة والأقلام . وهناك الرواق العباسي الذي كان محمد عبده يلقي فيه دروسه وقد صورها الدكتور طه حسين بأنه كان يحرسها شاب فارع فلا يستطيع كل انسان أن يقتحمها . وهناك عشرات من هذه المواقع وما دار فيها من أسرار ، كل هذا ما زال مدفونا في بطون الصحف والدوريات ويحتاج الى النيش عنه وجمعه وتنسيقه . وما أحوجتنا كذلك أن نجعل ما تبقى من ذكريات مع الأحياء المعمرين الذين شهدوا الأحداث في فجر هذا القرن ، وهذا جانب مهم وجديد لم تسبق كتابته في الأدب العربي الا في فصول قليلة . ومن حق الأدب العربي المعاصر أن يحظى بهذه الصورة لتكون اطارا لدراسات العصر والاعلام والفنون المختلفة . وصورة المجتمع في الآداب الغربية فن معروف ومشهور ، وهو عون للمؤرخ كما هو عون للأديب ، بل انه عون أيضا للمسرح والأفلام التاريخية جميعا . ولعل متوجه نحو هذه الأبحاث بجهد ضعيف أو قليل . وذلك استجابة لكثير ممن طالعوا « موسوعة معالم الأدب العربي المعاصر » وأحسوا بالحاجة الى استكمال هذه الصفحات الضائعة ، والحلقات الغامضة ، وهي فعلا جديرة بأن تستكمل حتى نضع بين أيدي الباحثين أسانيد ونصوصا أساسية تعينهم على تقويم الأدب وتحقيقه وكتابة صورة صادقة عنه . ومن خير من يستطيع أن يعمل في هذا الحقل الاساتذة محمد عبد الغني حسن ، ووديع فلسطين ، والشيخ محمود أبو رية ، وكحالة ، ويوسف أسعد داغر .

يراها للمرة الأولى ، وللهولة المشرقة . وهو الرجل العالم العلامة ، الذي لا شك أنه سجل في خاطره أعمق الأحاسيس عن هذه البلاد قبل أن يراها . ولهذا فقد كنت أنصت في شغف شديد الى كل ما كان يصدر عنه من العبارات عس مشاهدته وخواطره سيما وقد كنا لا نفترق ساعة من نهار أو من ليل طوال الأيام التي قضاه بين هذه الربوع المقدسة . وكان ان ربيت له لقاء أدبيا كريما مع فحول الأدباء المعاصرين اذ ذاك ، والمعاصرين الى اليوم أيضا !! وقد كتب الأستاذ أحمد قنديل مقالا طريفا عس ذكريات هذا اللقاء الأدبي منذ بضعة أشهر في إحدى يوميات جريدة البلاد السعودية ، وتفضل فاستشهد بي عن بعض وقائع الحفل واللقاء ، ولم تسعدني الظروف بعد بالتعليق على ما كتبه الصديق أحمد قنديل ، وانما اقتضاني السياق هذا الاستشهاد للمناسبة !

تفضل الأستاذ العقاد بزيارتي فسي **لقد** دار جريدة « أم القرى » ، وطلب اليّ أن أسمح له بتسجيل كلمة بقلمه عن خواطره في هذه الزيارة ، فتفضل رحمه الله وكتب العارة التالية التي نشرت في العدد ١٠٨٨ من جريدة « أم القرى » الصادر بتاريخ الجمعة ٨ صفر ١٣٦٥ - الموافق ١١ يناير ١٩٤٦ ، قال الأستاذ العقاد :

« أحبي أم القرى ، تحية الزميلة الموقرة ، وأحبي فيها ذلك الأسم الكريم الذي نتشرف بالانتماء اليه ، وأتمنى لها أن تصبح في الزمن القريب أم الصحف العربية ، وحسبها في بلوغ هذا الشأو الرفيع من قدرة أن تقتدى بالصحف الأولى التي تنزل بها الوحي المبين ، على خاتم المرسلين في هذا البلد الأمين ، وفي ذلك العدد نفسه ، نشرت الصحيفة وصفا طريفا شائقا لزيارة الأستاذ الراحل عباس محمود العقاد لدار الجريدة ، وكيف تمت الزيارة ومن شهدها من الأدباء الذين تصادف وجودهم في مكتب تحرير الجريدة ، وأشارت الى بعض الأحاديث التي حوكت مكتب التحرير الى ندوة أدبية حافلة ، جرى فيها الحديث سجالات بين الحاضرين من الأدباء ومن أسرة الجريدة ، وكانت الموضوعات العلمية والأدبية محور الحديث جميعه . كما كان الاستاذ الكبير العقاد فيه قطب الرحى ومحور الدائرة !!

والتقى الأستاذ عباس محمود العقاد ، رحمه الله . بلفيف من أدباء المملكة الذين كانوا

من الناس ، لا يعرفون مدى الصلة الروحية الوثيقة ، التي ربطت بين الأستاذ الراحل عباس محمود العقاد ، وبين هذه البلاد ، وأكثر من الكثير ، من لا يعرف الوشيجة الأدبية الكبرى التي جمعت بين شيخنا وأدينا الكبير ، وبين أدباء هذه البلاد ، في لقاء حافل جامع ، وان كان قصير المدة في عمر الزمن ، لم يتجاوز ثلاثة من الأيام . ولكنه كبير القدر والقيمة ، لما تم في خلاله من نفع أدبي جليل ، وما تحقق من ورائه من اندماج روحي ووجداني بينه وبين أبناء هذا البلد الكريم ، في فترة روحية ووجدانية أشعلت عاطفة الأدب ، وأوقدت جذوة الدين وأحاسيسه التي هي أصل الفطرة وأسباب الحياة والعلم والمعرفة ! حيث نشأت بعد ذلك الذكريات العميقة التي تغلغلت في النفوس ، وسجلت بين طياتها الى الأبد ، بين الضيف الكريم وأصدقائه .

لقد وفد الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد على هذه البلاد ضمن أعضاء بعثة الشرف التي قدمت لمصاحبة المغفور له الملك عبد العزيز ، في رحلته الى القطر المصري الشقيق عام ١٣٦٥ هجرية الموافق لعام ١٩٤٦ ميلادية . وقد كان مع البعثة أعضاء من عليّة القوم ، وانما لفت نظر أهل هذه البلاد ، وأدبائها ، مجيء الأستاذ عباس محمود العقاد ، وهو من هو مكانة في العلم والأدب والاجتماع . ولقد كانت لي صلة صداقة وثيقة بالكاتب العربي الكبير ممعنة في قدم الزمن الى أبعد من ذلك التاريخ بكثير . ولهذا ، فلا عجب اذا بادرت الى الحفاوة بالعقاد مدفوعا بعامل الصداقة الشخصية ، وبواجب التكریم والتقدير لمكانة الرجل في مجال الأدب والعلم والثقافة . وكنت في ذلك الوقت أشغل منصب رئيس تحرير جريدة « أم القرى » ، ورئيس التشريعات لجلالة المغفور له الملك الراحل عبد العزيز رحمه الله . وقد دعيتني ظروفني الآتفة في كلا المنصبين أن أقوم بواجبي حيال الأديب الكبير ، وضيفه فسي هذه البلاد . وكما هو معروف ، فان اسم الأستاذ العقاد وشهرته . جعلتا كثيرين من شدة الأدب وناشتته . بالاضافة الى عمدائه وكبرائه ، يتطلعون الى اجتلاء طلعة الأديب الكبير ، والحظوة برويته ، والظفر بجلسة أدبية ممتعة معه !

لقد كان الاستاذ العقاد عميق الشعور والاحساس نحو هذه البلاد المقدسة . وهو

العقاد

في

أم القرى

بقلم الاستاذ فؤاد ساكر

موجودين بمكة المكرمة يومذاك ، وتحدث بهم عن كتب ، واستمع الى آراء بعضهم في انصات واصغاء استجابة لما كان في نفسه من شغف بالوقوف على كل صغيرة وكبيرة من دقائق الحياة الأدبية في هذه البلاد التي بهرته بحاضرها المشرق ، بالإضافة الى ما كان في نفسه عن ماضيها الغابر المجيد ، ذلك الماضي الذي كان يتمثله في كل ما كان يشاهده في هذه البلاد من المراثيات التي أتيج له أن يراها خلال زيارته العابرة ، كما كان اعجاب الشباب والأدباء بالاستاذ العقاد ، وهم يرونه بين ظهرانيهم ، بل بين أيديهم وأبصارهم يفوق حد الوصف والتعبير !! وقد رسخت ذكريات هذا اللقاء في خواطر الكاتب العبقري الكبير ، بحيث كان يتداولها في ذهنه وفي أحاديثه طوال الأيام الباقية في حياته كلما سنحت الفرصة ، وعرضت المناسبة واستمرت اللقاءات الكريمة الحبية بين أدباء المملكة وشبابها ، وبين عملاق الأدب الأستاذ الكبير - العقاد - طوال أيام وجوده ، تارة في مكتب تحرير الجريدة « أم القرى » الذي كان بطبيعته متددى أدبيا لذلك الزمان ، وتارة في الفندق الذي كنا نلتقي فيه حتى جاء ميعاد الرحلة الى القاهرة في معية المغفور له الملك عبد العزيز - رحمه الله .

وكان من محاسن الصدف ان صادف يوم من أيام الرحلة تاريخ جلوس الملك ، ونحن نبحر على اليخت « المحروسة » . وقد فطن الى ذلك المسؤولين وأعضاء بعثة الشرف ، فكان ان أقاموا على ظهر اليخت حفلا رائعا بتلك المناسبة السعيدة في ضحى يوم الثلاثاء ٥ صفر ١٣٦٥ ، الموافق ٨ يناير ١٩٤٦ . وقد همس في أذني الصديق الأستاذ عباس محمود العقاد بوجوب اعداد أبيات من الشعر للاشتراك بها في هذه المناسبة الكريمة . وبالفعل ، أقيم الاحتفال وكان مفاجأة طيبة لنا جميعا نحن السعوديين ، ونحن نعلن الحفاوة بذكرى جلوس جلالة الملك المعظم ، والحفاوة بتلك الذكرى على ذلك النحو الرائع المفاجيء الكريم حيث تقدم رئيس بعثة الشرف فقدم التهئة الى جلالة الملك الراحل عبد العزيز ، وألقى كل من الأستاذ العقاد وكاتب هذه السطور قصيدة عدد أبياتها سبعة عشر بيتا . كما أقيم عرض عسكري على ظهر اليخت أطلقت خلاله طلقات المدافع للتحية والتكريم . وكانت أبيات الأستاذ العقاد رائعة في مطلعها وفي الإشارة الى ذكر البحر في هذه المناسبة ، كما ورد هذا المعنى في الأبيات التي ألقيتها بين يدي صاحب الجلالة ، والتي علق عليها جلالتة رحمه الله ،

كعادته أحيانا بالدعابات الطريفة . وهذا مطلع قصيدة الأستاذ العقاد :
أسد العرين يخوض غيل الماء
يا بحر راضك قاهر الصحراء !
يوم من البشرى يردد ذكره
ركب السنين ، وجيرة البداء !
لم يقترن بالبحر عبد جلوسه
الا لعمر زاهر ، ورخاء !
الشرق والاسلام قد سعدا بمن
يعلو بألها ، الى الجوزاء !
وهذا هو مطلع قصيدتي :
أقبل فديتك في الأيام يا عبد
واسطع فنجحك في الآفاق تصعيد
بالأمس أشرقت الدنيا ليهجتها
فالشرق والغرب اصغاء وتمجيد !
واليوم تحتفل الأمواج راقصة
تبها كما احتفلت من قبلها اليد !
واليوم يسعد هذا البحر مبهجا
بمن يقل ، وفي عطفيه تأويد !
وكانت أيام سعادة شاملة وغبطة كاملة ، لم يشهد الاستاذ الراحل نظيرا لها بقية أيام عمره ، وظل يذكرها لي بالثناء والخير كلما التقينا بعد ذلك حيث كانت أسعد أيام حياته هي أيام « أم القرى » .

حاول انت بحيت

- ٣ -

من هو قائل كل من الأبيات التالية :

أ - كن بلسما ان صار دهرك أرقما

وحلاوة ان صار غيرك علقما

ان الحياة جبتك كل كنوزها

لا تبخلن على الحياة ببعض ما

ب - بالغت في شتمي وفي ذمي

وما خشيت الشاعر الأمسي

جربت في نفسك سمًا فما

أحمدت تجريبك للسم

- ٤ -

ما هو جواب اللغز التالي :

خدامها جلاسها

باكية ضاحكة

ان جز منها راسها

مظهرة أنوارها

تذبيها أنفاسها

كأنها عاشقة

(الأجوبة على الصفحة ٤٥)

- ١ -

أ - ما هو أثقل العناصر الطبيعية ؟

ب - ما هو أخف العناصر الطبيعية ؟

ج - كم يبلغ عدد العناصر الطبيعية ؟

- ٢ -

ماذا يطلق على صدر كل من الحيوانات التالية :

أ - البعير

ب - الفرس

ج - السبع

مربي

للشاعر صباح العابدري

قولي : - فديتك - يا مربيتي العزيزة ، كيف ألسو ؟
والعيش بعد فراق مدرستي الحبيبة ، كيف يحلو ؟
وبغير ساحتها الرحبة ، أين أفرح ؟ أين ألسو ؟
ولن بأحلامي ، اذا افتزلت زميلاتي ، سأخلو ؟

قد كنت لي أما ، ولكن فوق كل الأمهات
وثيقة كبرى تبصرنني بأحداث الحياة
وزميلة فضلى ، ورائدة الى سبل النجاة
وصديقة رقت شالها عن الماء الفرات

ويحي ! أحق أني ودعت عهد طفولتي
وبأنني بالرغم مني سوف أهجر جنتي
ودفانري ، ومحابري ، ومطيري ، وحقيبي
واحرزاه اذن ، فما أقسى وأعظم محنتي

أنا لست أدري ، ما أشاهده ، خيال أم حقيقة
حبرى ، تقاذفني المواجه ، فلي مفايزات سحبه
أجود راضية بأعوام ، كأزهار رقيقة
وأعود ، لا ألوي على شيء ، سوى هذي الوثيقة !!!

لا ، لا وأقسم ، لن يكون مصيرنا هذا المال
والأم ما زالت ، وسوف تظل صانعة الرجال
وأرق ينبوع تدفق ، بالجمال وبالجلال
تطوى لعزمتها السهول ، وتنحني قمم الجبال

وغدا على الأممال ، في البلد الحبيب نلتقي
في مهرجان الفرحة الكبرى ، وعيد المشرق
بين الخمائل والجداول ، ننظّل وننقّي
ونعيش للأحلام ناعمة ، وللحب النقي



معهد التدريب الفني

لمنظرة الظهران للسياحة والفن



سعادة اللواء محمد المطلق قائد مطار الظهران يلقي كلمة توجيهية قيمة
بمناسبة افتتاح دورة التدريب على الرئاسة في معهد التدريب الفني .

والمعدات الألكترونية . أما الثلاثة الباقون فيسدرسون الرسم الهندسي المدني والميكانيكي والكهربائي .
وبما أن تدريس الطلاب في الجامعات البريطانية سيكون كله باللغة الانكليزية ، وهذا فيه بعض الصعوبة لطلاب المملكة ، نظرا لكونهم يتلقون اللغة الانكليزية كمادة ثانوية ، لذلك عمدت شركة الكومنولث الى اعطاء الطلاب دروس تقوية في اللغة الانكليزية والعلوم والرياضيات لمدة ستة أشهر قبل دخولهم الجامعات . وقد بوشر في اعطاء الطلاب الدروس المطلوبة منذ أول مارس من العام الحالي وسيرسلون الى الجامعات في أول سبتمبر .

المعهد الفني

تم تأسيس المعهد في شهر مارس المنصرم وبوشر فيه بتدريس اللغة الانكليزية للمبتعثين . وفي الوقت نفسه قام المسؤولون في المعهد باختيار الطلاب الذين سيجري تدريبهم محليا . وقد تم اختيار ستين طالبا من المتقدمين ، جميعهم من خريجي المدارس الثانوية ، أو معهد التدريب المهني ، أو ممن يحملون شهادة الكفاءة . ويجري الآن أيضا اعطاؤهم دروس تقوية باللغة الانكليزية مدة ستة أشهر ، يحولون بعدها الى دراسة مناهج التدريب المخصصة لهم وهي :

١ - انتاج القوة الكهربائية : وعدد الطلاب الذين سيتلقون التدريب في هذا الحقل ١٢ طالبا ومدة الدراسة فيه ٤٢ شهرا ، وستشتمل الدراسة على تركيب معدات انتاج القوة الكهربائية وفحصها ، وكيفية اجراء دورات التفيتش الصيانة على معدات انتاج القوى الكهربائية ، وتفيتش أجزاء جهاز حقن الوقود ومعرفة كيفية اصلاحها ، وتحرري كل خلل يطرأ على آلات محطة توليد الطاقة الكهربائية ومعرفة كيفية اصلاحها ، والامام بالسلامة الأرضية وغير ذلك من الأمور المتعلقة بتوليد الكهرباء .

٢ - تكييف الهواء والتبريد : وفي هذا الموضوع يتلقى الطالب دروسا عن مبادئ الكهرباء ومبادئ التبريد ، وأجهزة ضبط التبريد وملحقاتها ، وشبكات التبريد الخاصة وتحليل المياه ، وتكييف الهواء ، وأجهزة ضبط تكييف الهواء ، وكيفية تشغيل أجهزة التكييف والتبريد . كذلك يتلقى دروسا عن القيادة وعن أنظمة السلامة المتبعة . ومدة التدريب في هذا الموضوع ٤٢ شهرا وعدد الطلاب فيه ١١ طالبا .

مبنى مطار الظهران الدولي
يعتبر بحق ، تحفة فنية رائعة تحمل طابع هندسة البناء الشرقي ، وتساير في اتقانها أحدث ما توصل اليه فن بناء المطارات في العالم . وهذه التحفة الفنية والمرافق التابعة لها تتطلب صيانة جيدة ، كي تعمر طويلا وتبقى تعمل بانتظام ودقة ، لذلك ونظرا لعدم توفر العدد الكافي من الفنيين الوطنيين في الوقت الحاضر عهدت الحكومة بأمر تشغيل مرافق مطار الظهران وصيانتها الى شركة «كومنولث سرفسز انترناشونال انكروبريتد» التي ما زالت تقوم بهذه المهمة منذ عام ١٩٦٢ م . مستخدمة في ذلك خبراء ومهندسين وعمالا فنيين جلهم من الخارج .

يبد أنه بعد تجديد اتفاقية هذه الشركة عام ١٩٦٥ ، تضمن العقد الجديد بندا ينص على قيام الشركة المذكورة باعداد برنامج تدريب لنخبة من المواطنين السعوديين الغرض منه تطوير كفاءاتهم وتدريبهم على تشغيل مختلف منشآت مطار الظهران ليتسنى لهم في المستقبل الاستمرار في تشغيل هذه المرافق الحيوية والحلول محل الفنيين الأجانب .

وسيستمر هذا البرنامج مدة خمس سنوات ، وستدفع الحكومة لشركة «الكومنولث» لقاء ذلك مبلغ ٩٠٠ ٠٠٠ ريال سعودي (٢٠٠ ٠٠٠ دولار أمريكي) في السنة . وهذا المبلغ يمثل في الحقيقة التكاليف الفعلية للبرنامج دون أن يكون فيه للكومنولث أي ربح أوفائدة . ويقسم برنامج التدريب هذا الى قسمين اثنين هما : ابتعاث عدد من الطلاب الى الخارج ، وتدريب عدد آخر محليا في معهد فني جرى انشاؤه مؤخرا لهذا الغرض .

ابتعاث الطلاب

بعد اعلان شروط الابتعاث وهي أن يكون المتقدم سعودي الجنسية قد تجاوز الثامنة عشرة من العمر ، ويتمتع بصحة جيدة وأخلاق حسنة ولديه الشهادة التوجيهية (القسم العلمي) وراغبا في توقيع تعهد الحكومة ، تقدم لشركة الكومنولث عدد من الذين تنطبق عليهم هذه الشروط . وبعد أن أجرى هؤلاء امتحان ومقابلة شخصية ، تم اختيار ١٢ طالبا منهم سيرسلون الى مختلف الجامعات البريطانية للتخصص . فستة منهم سيدرسون الهندسة المدنية والهندسة الميكانيكية وهندسة الكهرباء . وثلاثة سيدرسون المواصلات



٣ - **المواصلات الاسلكية والأجهزة الإلكترونية** : عدد طلاب هذا الفرع ١٤ ، يجري تدريبهم فيه على مرحلتين اثنتين : الأولى ، ومدتها ٢٤ شهرا ، يتلقى الطلاب خلالها دروسا أساسية في نظرية المواصلات تشمل الحرارة والضوء والصوت . والثانية يتلقى فيها الطلاب دروسا حسب طبيعة تخصصهم . فأربعة منهم ستكون دراستهم الالكترونيات وستستمر هذه المرحلة مدة ٢٢ شهرا . أما العشرة الباقون فسيزعون كالأتي : اثنان للدراسة الالكترونيات ، واثنان للمبرقات الطابعة ، واثنان لبدالات الهاتف ، واثنان لاصلاحها وصيانتها ، وأربعة لمد الخطوط وتوصيل الأسلاك . ستكون مدة تدريبهم ١٥ شهرا .

٤ - **موارد المياه ومعالجتها** : سيدرب في هذا الحقل خمسة طلاب مدة ٣٠ شهرا حيث يتلقون دروسا في مبادئ السلامة ، وتحسين الانتاج ، وخواص موارد المياه ، ومراقبة التآكل ، وتشغيل مرافق ضخ المياه وصيانتها ، وتشغيل مرافق معالجة المياه وصيانتها ، وتشغيل وحدات تصريف مياه المجاري وصيانة أجهزتها ، وحفظ الصحة في منطقة العمل .

٥ - **منع الحرائق والوقاية منها** : وفي هذا الموضوع سيدرب ثلاثة أشخاص فقط ، يختارون من بين موظفي دائرة المطافي الذين يشغلون وظائف رقابية أو في مستواها بتوصية من المراقب .

مدة الدراسة ٣٦ شهرا وتقسم الى مرحلتين ، الأولى ويدرس الطلاب خلالها في المعهد الفني ، وتشمل دراستهم ، التوجيه والتعريف بالموضوع ، وتنظيم دائرة المطافي ، والنشرات الفنية والنماذج ، وأصول الرئاسة والادارة ، وعلم السوائل المستخدمة في الاطفاء ، وأعمال دائرة الحريق ، ومكافحة الحرائق في المنشآت ، ومكافحة الحرائق أثناء حوادث الاصطدام ، والمتفجرات والحرائق الكيماوية ، وأنظمة مؤسسة الطيران المدني الدولية وغير ذلك . والثانية ، عبارة عن مرحلة تخصص خارج المملكة لمدة تتراوح بين ٦ و ١٢ شهرا .

٦ - **رسم الخرائط الهندسية** : وقد أعد هذا البرنامج لاعطاء الطالب مبادئ أولية في أصول استعمال معدات رسم الخرائط وأدواتها . ورسم الخرائط الهندسية ، ورسم مساقط الشكل الهندسي وأصوله . ورسم الحروف ، ورسم الآلات ، والرسوم المعمارية والانشائية . والطرق ومدارج

الهبوط ، وتمثيل الرسم البياني ، والتخطيط البياني . مدة الدراسة ٣٠ شهرا وعدد الطلاب المنوى تدريبهم خمسة .

٧ - **المحاسبة** : سيتسب الى هذا البرنامج خمسة طلاب ، يتلقون خلال ٣٠ شهرا ، دروسا في عناصر المحاسبة ، كالمحاسبة العامة ، والمحاسبة الضرورية في أعمال المطارات .

٨ - **التموين** : ويتلقى الدراسة في هذا الفرع أيضا خمسة أشخاص مدة ٣٦ شهرا ، وتم الدراسة على ثلاث مراحل مدة كل منها سنة . ففي السنة الأولى يعطى الطلاب دروسا عامة عن كيفية اجراء حسابات التموين ، وفي الوقت نفسه يركز على تقويتهم في اللغة الانكليزية . وفي السنة الثانية يدرسون أهمية وضع مناهج التموين

العامة ، وطرق الاستيراد ، واجراء المشتريات والمقاولات . أما في المرحلة الثالثة فيختار الطلبة المتفوقون ويتبعون الى الخارج لدراسة موضوع في الادارة العامة للتموين .

٩ - **التدريب على الرئاسة** : وهذا الفرع مقصور على الموظفين العرب السعوديين الذين يشغلون مراكز رقابية أو الذين ستسند اليهم مثل هذه المراكز في المستقبل ، وهو غير محدد المدة ، وانما سيتم على شكل دفعات متوالية في كل منها ١٥ موظفا .

بقي أن نذكر أن برنامج التدريب هذا سيؤمن للمملكة في المستقبل القريب ، عمالا فنيين تقوم على أكتافهم وعلى أكتاف أمثالهم نهضة هذا البلد الكريم .

قائد مطار الظهران يقطع كمكة الافتتاح التي صنعت على شكل كتاب .

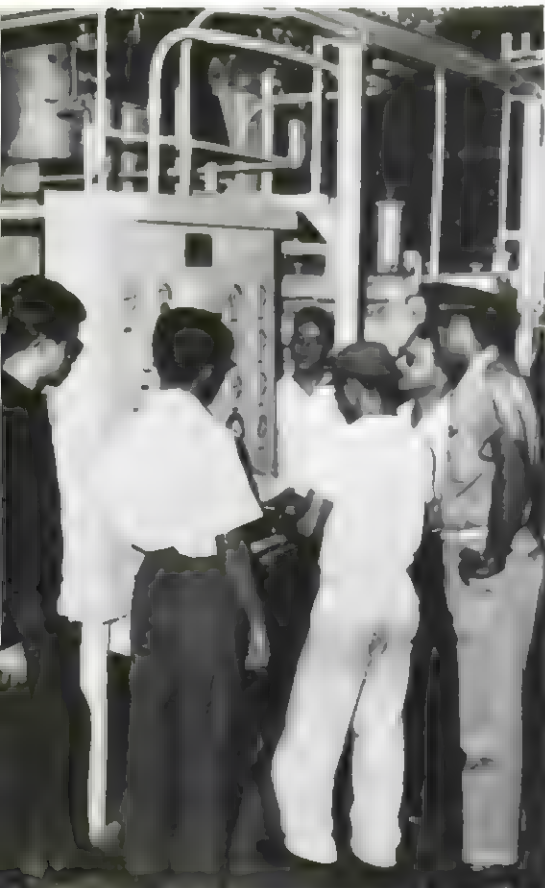




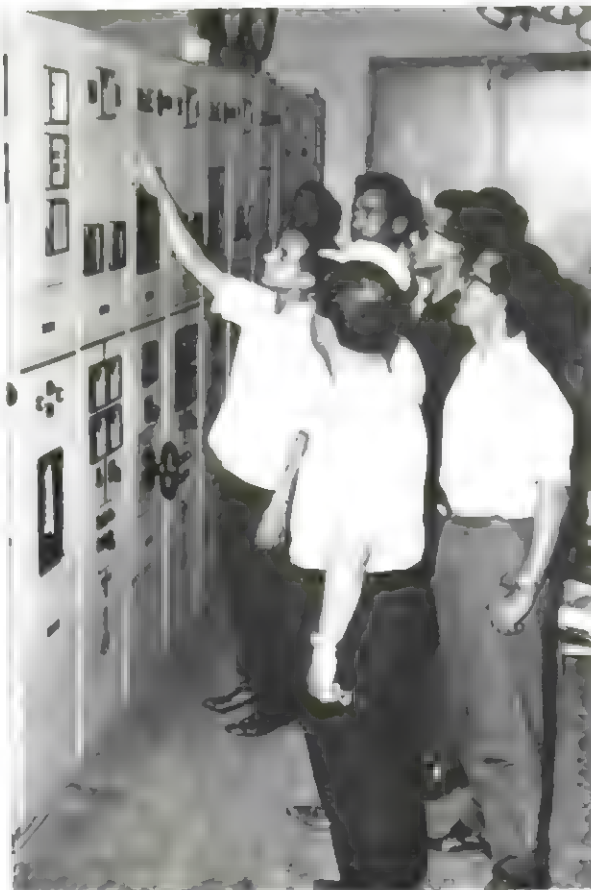
طلاب الدورة الاولى في برنامج التدريب على الرئاسة امام مدخل المعهد .



الطلاب في مختبر اللغة يتلقون درسا في اللغة الانكليزية .



الطلاب في احدى وحدات تكييف الهواء .



فريق من طلاب المعهد في جولة تفقدية لغرفة التحكم في محطة توليد الكهرباء .



معاجمنا اللغوية

بفلم الدكتور محمد الحوفي

فريدة هذه اللغة العربية بين لغات العالم بنشأتها البعيدة ، وتاريخها الطويل ، وآدابها العريقة ، وراثتها الواسع . وتأنيها على المحن والكوارث ، وبقائها سليمة على توالي الأعصار ، وستحيا الى ما شاء الله ، تفرح حيناً ثم لا تلبث أن تسترد قواها ، يعطوها صدى حيناً ، ولكنها لا تلبث أن تجلوه عن أديمها ، فتعود أكثر صفاء وأزهى بهاء . وللمعاجم اللغوية قصة ، ولما نرجوه منها حديث .

فقد كان الخليل بن أحمد (١٨٠هـ) أول من دون معجماً لغوياً سماه كتاب العين ، جمع فيه كثيراً من ألفاظ اللغة ، ورتبها حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالأسنان فالشفتين ، ووضع أحرف العلة في آخر الكتاب . وقد سمي كتابه « العين » . لأنه بدأه بحرف العين .

ثم سار على طريقته بعض مؤلفي المعاجم ، كابي علي القالي (٣٥٦هـ) في كتابه « البارع » ، والأزهري (٣٧٠هـ) في كتابه « التهذيب » ،

وابن سيده (٤٥٨هـ) في كتابه « المحكم » . وسار بعض اللغويين في اتجاهين آخرين ، فألف الجوهري (٣٩٨هـ) كتابه « تاج اللغة وصحاح العربية » ، مراعيًا في ترتيب ألفاظه أواخر الكلمات ، ثم حاكاه ابن منظور والفيروز أبادي فيما بعد .

ورتب أحمد بن فارس (٣٩٠هـ) كتابه « المجمل في اللغة » على أساس الحرف الأول والثاني والثالث ، الخ . غير أنه التزم في ترتيبه الهجائي ما بعد الحرف الأول في الكلمة من حروف الهجاء الى أن يبلغ (الياء) ، ثم يعود فيذكر بعده من الهمزة الى ذلك الحرف . فمثلاً عقد فصلاً « للراء » ، فلم يذكر الراء مع الهمزة ثم مع الباء ثم مع التاء وهكذا ، بل ذكر الراء مع الزاي ، ومع السين ، ومع الشين ، ومع الصاد الى الياء ، ثم عاد فذكر الراء مع الهمزة وما بعدها الى الزاي .

ثم جاء الزمخشري (٥٣٨هـ) فألف كتابه « أساس البلاغة » على نهج هجائي أدق وأسهل من نهج ابن فارس ، إذ التزم الحرف الأول وما يليه من حروف الهجاء ، فعقد باباً للهمزة ، فرّع منه الهمزة مع الباء (أبـ ، أبطـ ، أبرـ . أبسـ ، أبشـ ، أبصـ ، أبطـ ... أبى) وفرّع منه الهمزة مع التاء (أثرـ ، أثفـ ، أثلـ ، أثمـ ...) وسار على نهجه هذا في كل حرف . وشرح المعاني الحقيقية للكلمات ، وأضاف إليها الاستعمالات المجازية ، فقال مثلاً في مادة ثقب : ثقب الشيء بالثقب ، وثقب اللآل الدر ، ودر مثقب ... ومن المجاز : كوكب ثاقب ودرى : شديد الاضاءة والتلألؤ كأنه يثقب الظلمة فينفذ فيها ، وحسب ثاقب : شهير . وأتتني عنك عين ثاقبة : أي خبر يقين .

وقد يتعمق فيذكر مجاز المجاز ، كقوله في مادة نطح : تناطحت الكباش وانتطحت . ومن المجاز تناطحت الأمواج والسيول . ومن مجاز المجاز : رجل نطيح : مشووم .

وقد ذكر تصارييف الكلمات ومشتقاتها وجموعها ومزيداتها ومعاني كل منها ، مرتباً بعضها على بعض . ومدرجاً بعضها وراء بعض . وسلكها

في عبارات عدة تفصح عن معانيها ، وتميز مجازاتها من حقائقها ، سواء أشعرا كانت هذه العبارات أم نثراً ، قديمة أم محدثة ، وسواء أكانت من عصر الاحتجاج – من الجاهلية الى أواسط القرن الثاني للهجرة – أم مما بعده ، لأنه أراد أن يبين دلالات الكلمة في نصوص بليغة ، وليس يعنيه أن تكون قديمة أو حديثة . ولهذا أدار الكلمات أحياناً في عبارات من عنده ، فلم تجيء الكلمات جوامد منقطعة عن الاستعمال ، بل جاءت في سياق من التركيب أضفى عليها حياة .

سلك مؤلفو المعاجم بعد الزمخشري سلكاً من طريقتين : فبعضهم حاكى الجوهري في ترتيبه كتابه الصحاح ، وبعضهم تأثر بطريقة الزمخشري في ترتيبه أساس البلاغة . أما الفريق الأول فيمثلته ابن منظور (٦٣٠-٧١١هـ) مؤلف « لسان العرب » ، والفيروز أبادي (٧٢٩-٨١٧هـ) مؤلف « القاموس المحيط » ، فانهما عدلا عن الترتيب الهجائي الى نظام الحرف الأخير من الكلمة الذي استنه الجوهري . وربما كان سبب ذلك انهما لم يرتضيا طريقة الزمخشري في التفريق بين الحقيقة والمجاز . ولا طريقته في الاستشهاد بنصوص من كلام الأدباء بعد عصر الاحتجاج ، وليس بمستبعد أن يضاف الى هذين السببين سبب ثالث هو أن الزمخشري كان زعيم المعتزلة في عصره ، على حين أن ابن منظور والفيروز أبادي من كبار السنة .

وأما الفريق الثاني فيمثلته الفيومي (٧٦٦هـ) مؤلف « المصباح المنير » ، وكذلك اللجنة التي شكلتها وزارة المعارف المصرية برئاسة محمود ظاهر بك ، فرتبت مختار الصحاح للرازي (المتوفى سنة ٧٨٠هـ) . ويطرس البستاني مؤلف « محيط المحيط » ، وسعيد الشرتوني مؤلف « أقرب الموارد » . ومجمع اللغة العربية في مشروع وضع المعجم الكبير .

على أن هناك معاجم مرتبة وفق الموضوعات والمعاني « مثل المخصص لابن سيده » ، « وفقه اللغة » للشاعبي .

والحق أن مراعاة الحرف الأخير مع الأول كما رتب ابن منظور والفيروز أبادي تكلف الباحث

طرائف

الحوت يبتلع القمر

قال أمين آل ناصر الدين :
أبصرت فاتنة العقول وعندها
رجل نبا عن قبح طلعه النظر
ودنا يقبلها فقلت لمن معي
ضحوا فان الحوت يبتلع القمر

على قدر البساط أمد رجلك

من لطيف قول أسعد رسم :
طعامي كان قبلا لحم عجول
فصار اليوم من خبز وفجل
فقالوا لي لماذا قلت اني
على قدر البساط أمد رجلي

للحمية لمن تناوي

خطب أحدهم امرأة جميلة وكان شاعرا .
ولما عرف أن المرأة قد استبحته ، كتب اليها :
فان تنفري من قبح وجهي فاني
أرب أديب لا غبي ولا فدم
فأجابته على الفور : أود زوجا لا دائرة معارف
يا أستاذ !!

حجاة فحمة...

قال أحد القادة الروسين يوما لنابليون على
سبيل التفاخر : « نحن الروسين انما نقاتل
في سبيل المجد ، أما أنتم معشر الفرنسيين ،
فتقاتلون في سبيل المال » فأجابه نابليون عندئذ
بيروث قائلا : « نعم ، فكل انسان يقاتل في
سبيل ما ينقصه » .

هذه الطريقة لا ترضي بعض
الدارسين ، ويوثرون عليها طريقة
المعجم الافرنجية ، بأن ترتب الكلمات ترتيبا
هجائيا موافقا لحروفها الكاملة ، فتوضع (برق
السحاب) في برق ، و (أبرقت السحابة) في
أبرق ، و (رأيت في يده بارقة أي سيفا) في بارقة ،
وتوضع كلمة (جهر الشيء اذا ظهر) في جهر ،
و (رجل جهور) في جهور ، و (خطيب مجهري)
في مجهر ، و (جاهرتهم بالأمر) في جاهر ،
وفلان (جهير الصوت) في جهير الخ وهكذا
يقصد الباحث الى الكلمة التي يريد لها قصدا
لا مراحل فيه .

ومهما يكن من شيء فانه لا مندوحة
عن مراعاة عدة أمور راعاها المجمع اللغوي ،
منها :

- ١ - التدرج من المعاني الكبرى الى الصغرى ،
ومن الدلالة المادية الى المعنوية .
- ٢ - الاستشهاد بنصوص شعرية ونثرية مرتبة
ترتيباً تاريخياً ، غير مقيدة بعصر .
- ٣ - التنبيه على الأصل الذي أخذت منه
الكلمة ان كانت غير عربية .
- ٤ - الاكتفاء من أسماء النبات والبلدان والأماكن
والأعلام بما يتردد في النصوص الأدبية ،
حتى تفهم .
- ٥ - ضبط الكلمات المحتاجة الى ضبط دقيق
لا بالشكل المعروف ، بل بالعبارات كما
فعل كثير من القدماء ، فيقال مثلا :
ثلج فؤاده بضم الفاء وكسر اللام ، ويقال :
رأيت في السماء مخيلة أي سحابة ، بفتح
الميم وكسر الخاء ، ويقال روق البيت
بفتح الراء وسكون الواو ، ورواقه بكسر الراء
بعدها واو ممدودة أي مقدمة .

ثم يستخلص من هذا المعجم الكبير معجم
صغير للتأشير وغير المختصين يقتصر على ما يقرب
على الظن انه موصول بحاجتهم وثقاتهم ، في
عبارات مبسطة ، ورسوم وصور في بعض الكلمات .
واعتقد أن النهوض بهذا العمل الجليل واجب
محتوم علينا ، وحق من حقوق لغتنا الفريدة ،
تهيب بنا أن نوذيه فرادى وجماعات .

عناء مضاعفا ، لأنه اذا أراد مثلا أن يكشف عن
معنى (انصرح) فعليه أن يرجع الى باب الحاء
أو حرف الحاء ، ثم عليه أن يجرد الكلمة
من زيادتها ، لتصير (صرح) في فصل الصاد
ثم يقرأ المادة الى أن يعثر على (انصرح : بان) .
واذا أراد معرفة معنى (المستبذر) رجع الى باب
الراء أو حرف الراء ، ثم يرد الكلمة الى أصلها
وهو (بذر) في فصل الباء ثم ينتقب حتى يجد
أن المستبذر هو المسرع الماضي ، وهكذا .

كذلك يحس الباحث بصعوبة في ترتيب أساس
البلاغة ومختار الصحاح وأقرب الموارد والمعجم
الكبير ، لأنه لا بد أن يجرد الكلمة من زوائدها ،
وقد تكون حروفها كلها أصيلة ، فيلتبس الأمر
عليه ، وقد تكون الزيادة من المشكل في نظره ،
وهذه مشقة يحتملها المنقب في المعاجم جميعا .

وسأضرب أمثلة من المشتقات الهينة ،
ففيها الكفاية .

- ١ - ليس بين لابتيها مثل فلان . معنى اللابتين
في (لوب) وهما الحرتان .
- ٢ - فلان لا يلتاط بقلب فلان (في لوط)
أي لا يحبه .
- ٣ - لا يماديه أحد (في مدى) أي لا يجاريه .
- ٤ - هو من أمازر الناس (في مزر) أي خيارهم .
- ٥ - تمعدد الصبي (في معد) أي غلظ وصلب
وذبت عنه رطوبة الصبا .
- ٦ - اترّر (في وزر) أي ركب وزرا .

والحق أن واضعي المعاجم كانوا يتوخون التجميع
المنسجم ، فيضعون الكلمة ومزيداتها ومشتقاتها
وما يتصل بها من جموع ونسب وتصغير في واد
واحد ، وفي هذا تسهيل وتصعيب ، وفائدة
ومضرة . أما التسهيل والفائدة فبالنسبة الى المختصين
وأشباههم ، وأما التصعيب والضرر ، فبالنسبة
الى مبتدئين وغير المختصين .

ولكن فكرة التجميع المنسجم ما زالت ذات
السلطان ، ولما أنصأها من المعاصرين ، حتى
ان المجمع اللغوي بالقاهرة يحرص عليها ،
ويستمسك بها ، ويضع المعجم الكبير على
أساسها ، مع تجديد محمود فسي الشرح
والتسلسل والتنظيم .

الشعر

ليس نظماً وقافيةً وحسب

بزم الاساذ عبدالموم هاسم مافظ

السر من قارىء .. بل ورفاق واصدقاء ما فتوا يوجهون اليّ استفساراتهم حول الشعر عندنا بنوع خاص ، ويريدون مني تسليط الأضواء عليه وتقييمه ، وإيضاح ماهية الشعر ولغته وتعبيره . على الرغم من كونهم يعرفون بأدلة الاحساس الفطري والنمو الذهني ، ماهية الشعر ، وكيف يؤدي سليماً من كل جانب ، لكنهم في تساؤلاتهم الملحة يرددون أسئلة كثيرة تدور على الألسنة منها : ما معنى هذه القصائد أو القطع اليومية الزاخرة بالتراكيب المألوفة ؟ هل تسمى شعراً على حقيقته أم انها من باب التجاوز تدعى شعراً ، وهي في الواقع قد بعدت عن الدفق الشعري الذي نفعل به وبحركه اللاشعور ؟ أو ليس من السخرية بمكان أن نجد من يكتب عن شاعر أو آخر بأنه يستحق أن يلقب أميراً للشعر المعاصر عندنا ؟

وهناك أسئلة متشعبة ومائلة يضيق عنها المجال هنا . وكلها تستهدف وضع النقط على الحروف ، وفي صراحة بعيدة جداً عن المجاملات . هذا بالإضافة الى حسن الظن الذي فاض به المخلصون علينا ، واننا لنعتز به ، ونشكر لهم جم تقديرهم ونعتبره من الأسباب التي تحبط عنا التشاؤم مما يلاقه نموذج الشعر الرفيع من جحود وتجاهل مما سنعرف به في معرض حديثنا هذا .

ولعل أول ما تجدر الإشارة اليه أن نرد على تلك الفئة التي تصارع ظلمات نفسها حتى غشت على أنظارها ، فلا ترى ما هو متفاعل في ذاتية الانسانية الخصبية ، مهما امتدت بها الحقب وبلغ فيها العلم حد المادية البحتة . قالوا بأن الشعر قد انتهى عهده وان دققاته المضيئة قد انطفأت ، وهم بذلك لا يؤكّدون الا على تلبد مشاعرهم

بل وعلى قصرهم الفكري كذلك ، لأن نبع الشعور لا يغضب أبداً ما دامت حياة .. مهما كانت هذه الحياة . فان طبيعتها العطاء والتدفق في المسرة والغبطة ، وفي التوثب والأمانى ، وفي التألم والأشجان . ومن هنا ينطلق الشعر رفاقاً من القلب الفرح ، أو النفس الحزينة ، أو الروح الطموح ، أو العواطف الانسانية الأخرى المتغائرة . وهذا ما يضمن الاجابة المقتضية على السؤال التقليدي : ما هو الشعر ؟

والمنطق الشعري اذ ذاك يقول بقوة : أنا التجربة .. أنا الانفعال .. أنا اللفظة الجمالية . وهو يعني بالاجمال انه الشعور المتدفق ، والخيال المطلق ، بأبلغ عبارة ، وأرق لفظة ، وبأجمل معنى ، وأروع أداء . هذا هو الشعر وهو ينساب في موسيقاه العذبة الرتيبة أو الشجية أو الهادرة . يضاف الى هذا ، الاستنتاج الذي عبر به الناقد الغربي ، رتشاردز في قوله : (ان أهم ما يمتاز به الشعراء هي سيطرتهم على الألفاظ سيطرة تدعو الى الدهشة) . الى أن يقول : (فالدوافع التي تحدد للقصيدة شكلها انما تصدر عن جذور العقل ، وما أسلوب الشاعر سوى النتائج المباشر للطريقة التي تتنظم بها نزعاته ، وما قدرته الرائعة على تنظيم الكلام سوى جزء من قدرة أكثر روعة على تنظيم تجربته . ويفسر هذا لنا استحالة ابداع الشعر عن طريق مجرد الذكاء والدراسة أو الصنعة والحيلة ..)

ولذا كان نفر من الأقدمين ارتأوا أن الشعر هو الكلام الموزون ، أو أن أعذبه أكذبه ، أو ما شاكل هذه المفارقات العجيبة التي جعلته في ميدان للمساومة ، وهي تتناقض مع المعنى الكامل للشعر . فالشعر بحق يحسن به القارئ الواعي سلسالا في نفسه ، دفاقاً مع مشاعره ، وذلك تبعاً لما عانى فيه الشاعر عناء المخاض ليكسبه من أعماقه أرق وأجمل وأروع

صياغة ، بالهام نبضاته السخي ، وعن تجربته الصادقة الموحية .

ويتفق مع هذا القول من زاوية هامة رأي الناقد هاملتون مؤلف كتاب الشعر والتأمل ، حيث يقول : (واذا كان الشاعر فناً صادقاً فانه لن يكشف ما هو الشيء الذي سيولد انفعالا في نفوس قرائه بقدر ما يكشف الشيء الذي يولد انفعالا في نفسه . ان ما يحتاج اليه الشاعر قبل كل شيء هو الطاقة الابداعية والاحساس النقدي بالألفاظ) .

وهذه بحق من الدعاءات الأولى للاصالة الشعرية .. فالى جانب الاحساس الجمالي والموسيقى عند الشاعر الأمين على فنه .. يكون قد توفرت عنده أحاسيس ملتصقة بذاته لتقييم انتاجه ونقده وغربلته وأدائه الفني الدقيق . كلما أفرغ من عصارة فكره هذه التفحات الصافية صفاء روحه ونظرنه الحاملة ، وما تسمى فيما بعد بالقصيدة ، أي بداية مرحلة انطباعية ، انطلق فيها الشاعر ليقول مقالته مترجماً خواطره الى تعابير نابضة وصور صادقة . فاذا هو وقد فرغ من تشييده الفني ، نراه لم يقل بعد كل ما أراد ، ولم يعرض كل تصورات الشعارية .. لماذا ؟ لأنه الشاعر الحقيقي .. شاعريته أكبر من الأحداث .. من الانفعال .. ومن اللفظ .. ومن التجربة ..

وهذا ما يحسن أن نتوجه به الى كل من نظم شعراً ، ولكل من عرف أهمية الكلمة ، ليركز جهده ، كل جهده في أن يجيد دارساً ومنتجاً وناقداً ومتعمقاً ومتأملاً وحالماً ، ولأن يفتن ويبعد وأن يغوص باحثاً عن اللآلئ ومكتشفاً أسرار الأحلام ، ومخالطاً مسرى الوجدان حتى اذا هم بعمل أتم صياغته مشرقاً ورقاقاً ، له كل مقومات الشعارية الصادقة والفن الأصيل . ان هذا العمل الناجح قطعة من نفس صانعها القوي . واذا لم

تكن القصيدة هي هذه القطعة الخالصة ، فمن التجني أن نسميها شعرا .

فلمر ليس النظم والقافية فقط ، وهذا لا يعني اننا نؤمن بالخروج عن القاعدة الموسيقية الأصلية التي بنى عليها الخليل بن أحمد بحوره وموازينه والتي هي أساس البناء الشعري والدعامة الرئيسية لهيكل القصيدة عامودية كانت أو رباعية أو ثنائية ، لها مقوماتها وأهدافها . وما يسمونه بالشعر الحر أو الشعر الجديد .. خلق بأن يسمى بشعر اللامعقول ... وهو في الواقع في أكثره ، نثر فني . وهذا أيضا عدا ما يطالعا به فريق في بعض البلدان العربية ممن التزموا الاسراف في الغموض والرمز ، ورفضوا كلماتهم دونما التزام بالمألوف من الموسيقى الشعرية ، وادعوا أنهم مجددون وأصحاب مدرسة جديدة في الشعر . والدليل على انحراف طريقتهم ان معظم محاولاتهم فاشلة وليست مقبولة أصلا عند جمهرة المثقفين ورواد الشعر والفكر .

ان لدينا شعراء مجيدين ، ولكن غالبيتهم تقليديون . ولسنا نقصد بالتقليد هنا المعنى العمودي للشعر أو السنن التي جرى عليها الأقدمون ، وانما نرمي الى أن شعر أولئك لا يريد أن يخرج عن هذا الروتين المتجمد : ألفاظ اعتيادية ، أو خيال محصور أو تعبير مستهلك ، أو أفق متزمت تدور فيه المشاعر عودا على بدء . والشعر اذا عانى من احدى هذه العلل فقد ميزة كبرى من مقوماته الفنية . فكيف اذا اجتمع بعضها أو كلها في مثل ما ينشر من ذلك الغناء ، وتعرضه الصحف على انه من شعر ناشئة ، أو نشأت يراخ من استطاع أن يجد له ذريعة من عمله في صحيفة ما ، فاذا هو الأديب المفن أو الشاعر الموهوب . ويتناسى انه وليد مجاملة وصنيع من يستحق اللوم لأنه يقدم متطفلا على مائدة المعرفة ؟ لماذا ؟ لأنه يجب أن يظهر في الميدان ولا من سلاح الا اليد التي تسنده والعجب الذي أخذ بتلايب نفسه . وانها لبلية أخرى

تعاني منها الحركة الشعرية في بلادنا ، فاذا لم تتخلص منها ولم ينطلق شعراؤنا الى العالم الأرحب عمقا وتفتحاً وتفتنا ، فان هذه الحركة ستوصم بالجمود بل وبالتأخر .. وينهم معها شعر القلة الذي استطاع أن يثبت وجوده ويحقق التجاوز الى المراحل العملاقة في هذا الفن العريق الخالد . وحتى نحقق الانطلاقة الشعرية بصفة شاملة ، لا بد من الصمود أمام كل تيار وازالة العوائق المختلفة . ولا بد من التفاعل مع متطلبات هذه الانطلاقة بالتزود المستمر من كل جديد ، والتركيز دائما في كل ما نصور ونعبر ونصوغ . فالشعر الصادق بالاضافة الى ما ذكرنا يعيش دائما في حرية مطلقة ، مجالاته : الحرارة المغذية والحرف الأنيق ، والعبارة المشرقة ، والروح المؤنسة ، والطبيعة المتجاوبة مع الغير ، والا فما قيمته وما معناه ؟؟ والشعر قبل كل ذلك صدى تجربة عنيفة ، واحساس غامض ، قيمتهما في أن يظهر متفاعلين في أجلى وأرق وأكمل كيان .. هذا هو الشعر .



من تراجم العرب

القلوب

• قال السري السقطي : «القلوب ثلاثة : قلب كالجبل لا يزيله شيء ، وقلب كالنخلة أصلها ثابت والريح تميل برأسها ، وقلب كالريشة يميل مع الريح يمينا وشمالا .»

درء السيئة

• يخطيء من يقول أن الشر بالشر يطفى . فان كان صادقا ، فليوقد نارين ، ولينظر هل تطفىء احدهما الأخرى .. وانما يطفىء الخير الشر كما يطفىء الماء النار .

العقل

• سئل اعرابي عن العاقل متى يعرف ؟ قال : اذا نهاك عقلك عما لا ينبغي ، فأنت عاقل .

أربعة أصابع

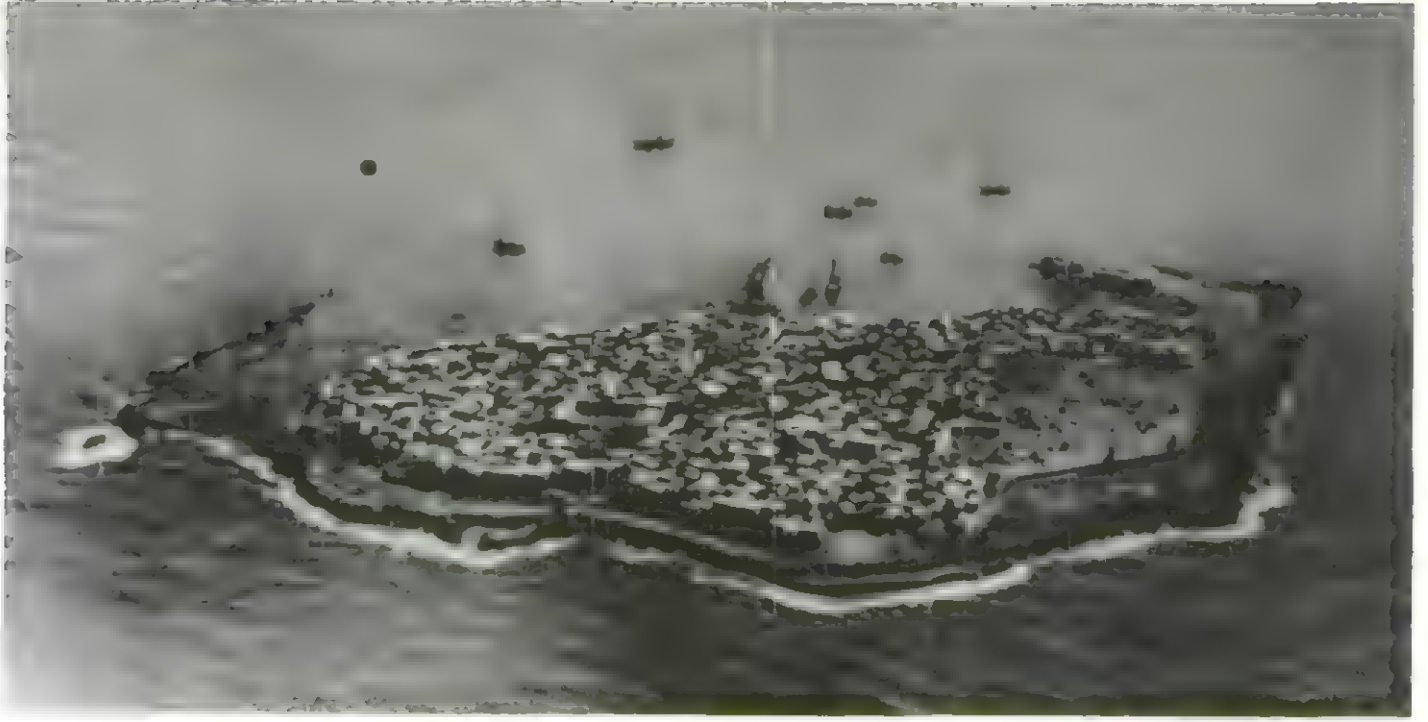
• سئل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كم بين الايمان واليقين ؟ قال : « أربعة أصابع . » قيل : « وكيف ذلك ؟ » قال : « الايمان كل ما سمعته أذنك وصدقه قلبك ، واليقين ما رأيته عينك فأيقن به قلبك ، وليس بين العين والأذن الا أربعة أصابع . »

الاخلاق والهوى

• قال سعيد بن اسماعيل الخيري : « الناس على أخلاقهم حتى يخالف هواهم ، فاذا خولف هواهم . بان ذوو الأخلاق الكريمة من ذوي الأخلاق اللثيمة . »

حكمة عمر

• سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا عن شيء ، فقال : الله أعلم . فقال عمر : لقد شقينا ان كنا لا نعلم ان الله أعلم .. اذا سئل أحدكم عن شيء لا يعلمه ، فليقل : لا علم لي .



منظر جوي لجزيرة «أرواد» ، حيث تبدو أمواج البحر وهي ترتطم بسور المدينة الحصين .

«أرواد» في ماضيها وحاضرها

بقلم الاستاذ أكرم ساطع
محافظ متحف طرطوس بسوريا

كان يعيش في هذه الجزيرة منذ أقدم الأزمنة عدد كثيف من السكان ، ولا تزال كذلك الى يومنا هذا . مساكنها متلاصقة ذات طابق أو طابقين ، لا تترك بينها من الطرق الا دروبا ضيقة ومتعرجة بحيث يتعذر على أية عربة المرور فيها . وقد قيل في أرواد : « انها تبدو كآخر مدينة فينيقية » لأنها من بقايا الأماكن النادرة في التاريخ ، كما كانت مدن صور وصيدا وجبيل وأوغاريت قديما .

اشتهر سكان أرواد منذ غابر الأزمان بصناعة المراكب ، ولا تزال تعتبر أول مركز لبناء أجمل السفن الشراعية في شرقي البحر الأبيض المتوسط ، والأنواع المعروفة لديهم هي : السكونا ، والغيز ، والكيك ،

بعد ثلاثة كيلومترات من شاطئ مدينة طرطوس السورية ، يرى المرء أمواج البحر الأبيض المتوسط تلطم صخرة تمتد من الشمال الى الجنوب بنحو ٧٠٠ متر ومن الشرق الى الغرب بنحو ٤٠٠ متر . هذه الصخرة مع ابنتها (١) ، جزء من تضاريس الصخور المميزة للساحل السوري - اللبناني ، والتي تمتاز بقلعة تعرضها للرمال . وعلى هذا الساحل المحروم من المرافق الطبيعية كانت كل صخرة في عرض البحر تشكل موقعا صالحا لرسو المراكب تحمية الصخور الطبيعية ، وفي حماية هذه الصخور كانت المراكب تفرغ حمولتها .

(١) بنت أرواد : صخرة تقع في الجزء الشمالي الغربي من الجزيرة ، فصلت عنها بعد بناء السور سواء عن طريق الخسف أو عن طريق التآكل البحري .

ذلك الى وطنه وقد أضناه الشوق والحنين ،
فيستقبل بالترحاب وتعتقد في داره حلقات
السمر ، ويدور حديث ذو شجون بين
الأهل والخلان .

هذه لمحة عن حاضر أرواد فماذا
عن ماضيها ؟

إذا عدنا الى التاريخ نسأله عن
الجزيرة ، فانه يشير الى التوراة ، والرقم
الفخارية الأوغاريتية ، ورسائل تل العمارنة ،
والى ما سطره كتاب ومؤرخون أقدمون أمثال
هوميروس وسترابون ، كما اننا نرى بصمات
الماضي الموهل في القدم واضحة المعالم في
السور والقلعة والبرج .

كانت أرواد دولة كنعانية (٢)
هامة ، بسطت سلطانها على معظم
الساحل السوري ، وبقيت كذلك حتى
استولى عليها تحتمس الثالث الفرعوني ،
في القرن الخامس عشر (ق . م) وذلك
أثناء حملته الخامسة المعروفة . فبسط نفوذه
على السهل الفينيقي وأحكم قبضته عليه .

الصخور الكلسية ليبحث عن ضالته .
فيعثر أحيانا على حطام مركب قديم ،
أو مراس من الرصاص تعود الى العهد
الروماني ، وقد يعثر الغطاس أحيانا على
بعض الأواني الفخارية ذات الطراز الفارسي
أو الروماني أو البيزنطي التي كانت قد
غرقت في العصور السالفة لتحكي قصة
سباتها العميق بين طبقات الرمال والأعشاب
البحرية وقد بدت على سطحها آثار
النباتات والترسبات واضحة المعالم .

يقنني متحف طرطوس نماذج مختلفة من
هذه الأواني الفخارية ، بالإضافة الى نماذج
رائعة من الاسفنج والأصداف المتنوعة .
لسكان الجزيرة تقاليد وعادات وراثها
عن آبائهم وأجدادهم . فظروفهم المعيشية
مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبحر على الرغم من
أنهم لا يبعدون عن اليابسة سوى بضعة
كيلومترات . يغادر أحدهم جزيرته الى
عرض البحر فيمكث بضعة أشهر أو بضعة
سنوات منتقلا من مرفأ الى آخر ليعود بعد

والفلوكا . ولكل نوع من هذه الأنواع
صفات ومزايا معينة . فالسكونا مثلا هي
أكبر هذه الأنواع ، تجوب عرض البحار
بحمولة قدرها ٥٠٠ طن ، أما النوع
الأخير فهو أصغر المراكب المعروفة
ويستعمل للصيد على طول الشواطىء .

لقد أحاط الأرواديون ، بالفطرة ، بعلم
الأنواء ، فهم يطلقون أسماء معينة على
الرياح التي تهب على البحر ، وذلك حسب
اتجاهاتها في كل فصل من فصول السنة ،
وقد يتوقعونها مقدما قبيل حدوثها ، كما
انهم ماهرون في الملاحة ، ولا حاجة لهم
باستعمال الخرائط البحرية على الرغم من
أنهم يصلون الى البحر الأسود والبحر
الأحمر فضلا عن تنقلهم في مرفأء حوض
البحر الأبيض المتوسط وذلك سعيا وراء
الربح في المبادلات التجارية ، أو كبحارة
ماهرين في السفن الأجنبية ، أو كعمال
في المرفأء .

أكثر الرجال يتخذون صيد
الأسماك والاسفنج مهنة لهم .
والمراكب المفضلة لهذه الغاية هي التي من
نوع (الفلوكا) ، وشبكة الصيد تسمى
(جاروفة) ويتنوع استعمالها حسب الأمكنة
الرملية أو الصخرية . وكانت تصنع في
غابر الأزمان من خيوط الكتان ، ثم تطور
صنعها من خيوط النايلون لمتانته وسرعة
جفافه .

تدل الاحصاءات الرسمية على أن ما
تصطاده هذه الجزيرة من الأسماك في كل
عام يفوق ما تصطاده المرفأء السورية
الأخرى من الأسماك مجتمعة . وغطاسو
هذه الجزيرة قادرون على الغوص الى عمق
يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ مترا تحت سطح
الماء دون الاستعانة بمعدات خاصة .
ويستعملون من أجل ذلك المراسي الحجرية
المعروفة لديهم باسم (بولص) حيث يقذف
أحدهم بنفسه الى الماء ثم يعلق شعب
المرساة بين الأعشاب التي تنبت على



البرج الأيوبي المطل على الجهة الشرقية من جزيرة أرواد .

(٢) من المعلوم أن الكنعانيين الذين ساهم اليونان بالفينيقيين فيما بعد جماعة سامية لعبت دورا هاما في تاريخ سورية بعد الأموريين ، وانتشرت مدنهم الأولى على طول الساحل من جبل (قاسيوس) جبل الأقصرح اليوم حتى الكرمل في الجنوب .

لقد سجل تحتمس انتصاراته على جدران معبده في (طيبة) ، وذكر أسماء المدن التي فتحها ، وتشهد لائحة الغنائم التي حملها معه من عاج وأبنوس وحلي وفضة وحجارة كريمة وخشب الخرنوب المطلي بالذهب بغنى البلاد وحضارة سكانها الرفيعة .

وقبيل غروب شمس القرن الثالث عشر (ق . م) اجتاحت شعوب البحر مراكز الحضارة على الساحل السوري فدمرت أوغاريت (٣) . وشاء القدر أن تخرج أرواد سالمة من هذه الهجمات البربرية ، فزادت أهميتها وعلا شأنها ، وتبوأ مركز الحضارة لا سيما بين القرنين الثاني عشر والثالث (ق . م) . وهو زمن ازدهار المدنية الفينيقية ، وانتعاش المبادلات التجارية الدولية في أرجاء البحر الأبيض المتوسط . وقد ساهم الأرواديون في إقامة علاقات في ميادين الأدب والدين والفن الزخرفي بين بلاد اليونان الناشئة والمدنيات الشرقية ، فكانت سفنهم تحمل ، علاوة على ما تحمله من شحنات البضائع ، أمورا قيمة سامية تمثل حضارات متنوعة أتى بها التجار لينشروها بين الشعوب التي احتكوا بها . فلعبوا بذلك دور الوسيط بين الناحيتين الفكرية والروحية ، كما كانوا من الناحية التجارية . وقد عرف عن الأرواديين ، شأنهم شأن بقية الكنعانيين خلال تاريخهم الطويل ، أنهم كانوا عشاق السلم لا يميلون الى الأعمال الحربية .

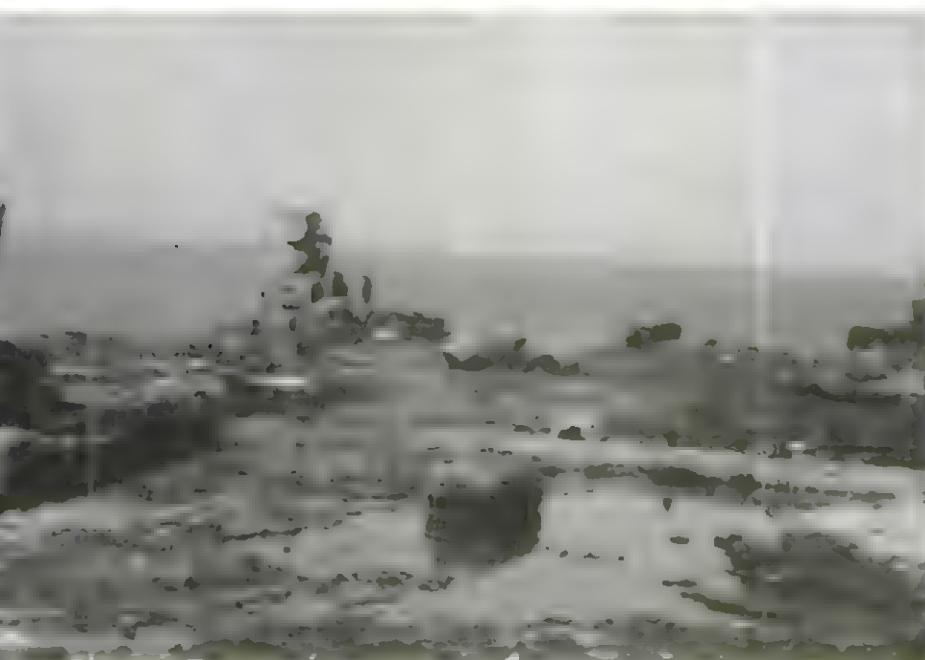
لقد كانت أرواد في جميع العصور مرفأ مهما يتمتع بخط دفاع مزدوج ، وكان مواطنوها يحتلون موقعين أحدهما في البر حيث كانوا يتاجرون أو يزرعون بساتينهم ، والآخر في جزيرتهم الصغيرة يلجأون إليها كلما تدفق اليها الفاتحون . وقد امتدت مملكة (ستراتون) الأروادي شمالا حتى اللاذقية ، وشرقا حتى نهر العاصي ، وجنوبا حتى

الفارسية في هجومها على مصر بقيادة (قمبيز) وفي هجومها على اليونان بقيادة (أحشوروش) .

هذا ويجدر بنا أن نشير الى بعض الممتلكات الأروادية على الشاطئ كمدينة (ماراتوس) عمريت ، وأنهيدار (٤) ، وكارنه (٥) . وتقع الأولى على بعد سبعة كيلومترات جنوبي طرطوس ، وقد اشتهرت بمعبدها المحفور في الصخر تنساب من حوله مياه النهر المعروف قديما باسم (ماراتيس) (٦) .

نهر الكبير الجنوبي (أوليتير) الذي اقترن سهله الواسع الفسيح المعروف لدى القدماء باسم (ماكروبيدون) بالخصب في أذهان المستعمرين اليونان ومن بعدهم الصليبيين . لقد كانت ممتلكات الجزيرة في عهد الاحتلال الفارسي ضمن الولاية الخامسة (مرزبانه) التي تمتعت بازدهار في ظل السلم كمركز من مراكز التجارة العالمية . ولا يخفى أن الفرس كانوا يعتمدون على الموارد الفينيقية لتوسيع امبراطوريتهم . وعلى الأسطول الفينيقي الذي كان عماد البحرية

بعض الحجارة الضخمة الباقية من سور أرواد في الجهة الغربية من الجزيرة .



(٣) راجع عدد رجب ١٣٨٥ من قافلة الزيت . (٤) أنهيدار : موقع تل الصقعة ، يقع الى الجنوب من طرطوس بمسافة ١ كم . (٥) كارنه : تل القرنين يقع الى الشمال من طرطوس بمسافة ٢ كم . (٦) ماراتيس : نهر صغير يسمى اليوم (نبح التل) لدى أبناء المنطقة .

وفي سنة ٦٤ (ق.م) أصبح الساحل السوري جزءا من الولاية الرومانية ، وانقسمت سوريا في ذلك العهد الى أربعة أجزاء كان أحدها يدعى (سولوسيد) ، وأهم مدنه أرواد واللاذقية على الرغم من انتقال مركز التجارة البحرية الى انطاكية والاسكندرية واليونان .

وفي أواخر القرن الرابع للميلاد ، وقعت جزيرة أرواد في قبضة البيزنطيين ، وغدت جزءا من امبراطوريتهم حتى عام ٦٣٧ للميلاد . لقد كان هذا العام صفحة

فعمريت كانت أحد المراكز الدينية التي تذكرنا بنبع (أبولون) في (سيرين) وبمنشأتها في التل الأثري المجاور ، وبمجموعة المدافن الصخرية المعروفة محليا (بالمغازل) ، وبالمدرج الروماني الذي شرع في بنائه في عهد الرومان ولكنه لم ينجز .

هذه المدينة عامرة مأهولة بالسكان عندما دخلها الفاتح الكبير الاسكندر المقدوني حيث تبادل مع (داريوس الثالث) رسائل المفاوضات الدبلوماسية . وفي هذه المدينة أيضا استقبل ملك أرواد (جيرو سترات بن ستراتون) الاسكندر ، وقدم اليه في خضوع مملكة أبيه . وبعد هذا التاريخ أطلق على الجزيرة اسم (أرادوس) (٧) . وفي بداية السيطرة اليونانية ، توقفت أرواد عن ضرب النقود فترة من الزمن وصارت تصك باسم الفاتح الاسكندر . كما انشئت معامل أخرى لضرب النقود في (كارفة) وعمريت .

أما (سيميرا) فقد كانت آخر ممتلكات أرواد في تلك المنطقة ، سقطت في أيدي الغزاة الفاتحين . ويعتقد بأن موقعها هو (تل الكزل) الذي يبعد نحو ٢٨ كيلومترا جنوبي طرطوس حيث يتوسط السهل المعروف باسم (ماكروبيدون) الآنف الذكر . وقد أصاب المدينة اiban الحملة السادسة التي قادها تحتمس ما أصاب جارتها أرواد في الحملة الخامسة .

وقد كشفت الحفريات الأثرية عن المنازل الكنعانية التي يعود عهدها الى القرن الخامس عشر (ق.م) فكانت هزيلة البناء والعمران والتخطيط الهندسي بوجه عام . وقد عثر على طبقات تعود الى العهد الآشوري والعصرين الفارسي والهليني ، كما عثر أيضا على قطع نقد أروادي .



شعار « لوزينتيان » المنحوت على مدخل البرج من به الغريبة ، وهو يمثل أسدا يجابه شجرة نخيل .

جانب آخر من بقايا السور الواقعة على امتداد الشالية من جزيرة أرواد .



نماذج لبعض النقود التي كانت تصدر في جزيرة أرواد في العهدين الهليني والروماني .



الصخرة الصلداه التي تعرف بـ « بنت أرواد » .

جانب من الأبنية القديمة في أرواد وقد اكتظ أحد شوارعها الضيقة ببعض المارة .



جديدة في تاريخ الجزيرة ، ذلك أن البيزنطيين انهزموا أمام طلائع حاكم حمص عبيدة بن الصامت الانصاري فانضوت الجزيرة منذ ذلك التاريخ تحت راية الاسلام .

وأواخر القرن الحادي عشر وقعت الجزيرة في أيدي الصليبيين فاستولوا عليها . وقد شرع هؤلاء في بناء الحصون ، فأشادوا حصنين يحمل أحدهما شعار (لوزينيان) (٨) . وبقيت أرواد تقاوم حكم الصليبيين حتى استطاعت ، بموازنة جيش السلطان مالك الأشرف ، طرد الدخلاء ، وكان ذلك في عام ١٣٠٣ م .

ولما وقعت البلاد السورية في القرن السادس عشر الميلادي في حكم العثمانيين ، أدخلت تعديلات على شعار (لوزينيان) فأضافوا اليه سلسلة تربط الأسد بشجرة النخيل .

وإذا طاف المرء اليوم بالجزيرة فانه يرى أوابدها الأثرية لا تزال شامخة تزهو ، فالسور بحجارته الضخمة كان في الدرجة الأولى وسيلة من وسائل الدفاع ضد البحر . وتشير أكثر الظواهر الى أن هذا السور يعود عهده الى العصر الهليني ، علما بأن ثلث جدران البحر في الجهة الغربية منحوت في الصخر ، كما ان قسما منها مزدوج .

يدل على مهارة الأرواديين ومنا وبراعتهم في ضمان التزود بالمياه ، تمكنهم من توصيل مياه نهر (ماراتيس) الى جزيرتهم بواسطة قساطل من الفخار أو بأنبوب جلدي يمتد تحت سطح البحر . وربما كان هذا أقدم ما سجله التاريخ بالنسبة الى نقل المياه العذبة تحت سطح البحر . ومن بين الآثار التاريخية البارزة التي تحكي قصص البطولات العربية وصراعها ضد الغزاة في القرون الغابرة « البرج الأيوبي » المطل على الجهة الشرقية من جزيرة أرواد .

نخريسيه

للشاعر محمد احمد فني



أضاع العيش والعمر
سبنا مثلها عشرا
مشوبا به يفرى
خليل خاله المرى
دموع بالشجا حوى
حنين لأذع يــــرى
جوى الأشواق كــــم أورى

فان طافت به الذكرى
وماتت نفسه فهــــرا
لجوجا يشقل الفكرى
بنفس تجرع المــــرا

البك العود يا مكه
لو تدري وكم شكه
وعيش كله حلكه
وحتى لــــذة الضحكه
هــــور فــــاغر فكه
أسر يشكى ضكــــه
رحيم يستغى فكه

من أرى به ملكه
هر هذا البيت فى بكه
بقاياى من الملوكه
والآلام عن مكه

غريب الدار فى المنأى
طوى عشرا وقد بطوى
إذا أمسى يلاقى الويل
يتببه بلبله قلبا
ومن عينيه كم درت
وفى جنبه لو تدري
وفى أحشائه الثكلى

يظل الليل فى أرق
تداعى قلبه وحدا
وأضى ليله شوقا
وعاد الهم يستشري

غريب عنك كم يرجو
فكم آذاه هذا البين
حياة كلها ليل
حرمات الأنس فى بعدي
وأنى والأسى ليل
غريب للنوى القاسى
وما فى الكون معوان

سألت الله رب الكون
ومن انشا قديم الد
اياها عاجلا يحمي
وان ينهي حياة البعد

سيرة

مغمورون في العصر الجاهلي والأسلامي

بقام الاستاذ محمد عبد الغني من

ان أمر المحفوظ في هذه الدنيا عجيب . فمن الناس من يدركهم الحظ ويلمسهم ولو لمسة خفيفة بعصاه السحرية ، فاذا الدنيا تقبل عليهم ، والشهرة تنعقد لهم ، وهم الزمان ينادي باسمهم . ومن الناس مجدون ومجدون ولكن حظهم خامل ، ونجمهم آفل . فرى النسيان يغمرهم ، والشهرة تبتعد عنهم . خذ مثلاً شعراء الجاهلية ، والشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا الاسلام ، تجد أن الشهرة العريضة ، والعناية الواسعة أحاطت بأمثال امرئ القيس ، وزهير ، والأعشى ، والنابعة ، وعنترة ، وطرفة ، وحسان بن ثابت ، والخنساء ومن اليهم ، كما انها ابتعدت عن طائفة مجيدة مجودة من أمثال « حميد بن ثور الهلالي » ، و « سحيم » ، وحفنة أخرى غير قليلة من شعراء الهذليين ...

ولقد ظل الشاعر ابن الرومي — من شعراء العصر العباسي — منسيا مهملاً الى أن أدركته العناية في زماننا هذا . فاهتم به عبد الرحمن شكري ، والمازني ، والعقاد ، وكامل كيلاني ، ومحمد شريف سليم من العرب ، وجرومانوس

ليس يزرى السواد يوماً بلذي اللب
ولا بالفتى اللبيب الأديب
ان يكن للسواد في نصيب
فياض الأخلاق منه نصيب
وذكرنا الشاعر سحيم الجاهلي المخضرم
بالشاعر الاسلامي عمر بن أبي ربيعة ، فكلاهما
كان يطيل التشيب بنساء قومه ، وكلاهما لم
تسلم امرأة من تغزله وتشبيه بها . ولقد جر
هذا على الشاعر سحيم مقتله بيد جماعة من
قومه لأنه كان كثير التشيب بنسائهم ، فأوا
الخلاص منه بقتله على الرغم من شجاعته
واشتهاره باجادة الرمي .

ولقد كان جميلاً أن ينشر ديوان سحيم
العربي بتحقيق عالم من علماء
المهند المعاصرين هو الأستاذ « عبد العزيز الميمني »
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة « عليغرة » بالهند .
كما كان جميلاً أيضاً أن ينشر ديوان « حميد
ابن ثور الهلالي » الشاعر المخضرم بتحقيق الأستاذ
الميمني نفسه ، كأنه شاء — حفظه الله —
أن ينصفهما من أغفال الزمان ، ونسيان
الأيام .

ويلفت نظرنا من الشعراء المخضرمين ان أكثرهم
من المعمرين ، فسحيم امتد به العمر الى أيام
عثمان كما قلنا ، وحسان بن ثابت قد أطل به
الأجل بعد أن أدرك من الجاهلية زماناً ، ثم توفي
في السنة الرابعة والخمسين من الهجرة . وكذلك
الخنساء فقد أدركت الاسلام وهي عجوز ولها
أربعة أولاد كبار ، اشتركوا في حرب القادسية ،
واستشهدوا فيها عملاً بوصية أمهم ، فلما بلغها
نبأ استشهادهم قالت : الحمد لله الذي شرفني
بقتلهم ! . وكذلك حميد الهلالي كان من
المعمرين ، فقد روى أنه امتد به العمر الى
عهد عبد الملك بن مروان خامس خلفاء
بني أمية .

وتدلنا بعض أشعار حميد الهلالي على انه كان
حقيقة معمرأ أطل به الأجل ، وأضعفه الكبر ،
وأحنى ظهروه الزمان . وحين بلغ من الكبر عتياً
أخذ يندب شبابه المدير ، ويتحسر على ما ضاع
من أيامه . وهي نغمة نجدتها دائماً عند المعمرين ،

لئن يعيوا سوادى فهو لي نسب
يوم الزحام اذا ما فاتني النسب
فان سحيماً يقول في الغرض نفسه :

سواء أكانوا شعراء أم غير شعراء ...! وما يروى له في التحسر على الشباب قوله :

لقد ركبت العصا ... حتى لقد اوجعني

مما ركبت العصا ظهري وأظفاري !
لا أبصر الشخص إلا أن أقاربه

معشوشيا (١) بصري من بعد أبصار !

ولا تكاد المصادر والمراجع تسعنا بما نطلبه

من السيرة المفصلة للشاعر حميد الهلالي في جاهليته

واسلامه ، لولا تلك الأخبار والتف المبعثرة هنا

وهناك ، والتي نستطيع أن نلم منها حياة الشاعر

في سطور . ومن عجب أن حميدا هذا لم يجمع

له شعر في ديوان قائم بذاته ، إلا ما جمعه

الأستاذ الميمني في طبعة دار الكتب المصرية سنة

١٩٥١ التي نشرت أخيرا في طبعة مصورة .

وكثير من شعره يستشهد به في كتب النحو ،

واللغة ، والصرف ، والأمثال .

ونظم أنه كان من الشعراء الهادئين

الذين اعتنقوا الاسلام في صمت

وهدوء . فلم يقف من الدعوة الاسلامية موقف

الشاعرين : حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة

— مثلا — في الدفاع عنها ، ونصرة نبيها ،

ومهاجاة المشركين ، بل اكتفى بالقبول لها ،

والدخول فيها ، شاكرًا الله ، ساجدا له ، مؤديا

الزكاة ، ومقيما الصلاة ، وقائلا في هدوء : —

حتى أرانا ربنا محمدا

يتلو من الله كتابا مرشدا

فلم نكذب ، ونحورنا سجدًا

نعطي الزكاة ، ونقيم المسجدا

ولقد أدرك حميد الهلالي ، كما أدرك غيره

من شعراء العرب ، ثقافة الحياة وغرورها ،

وعدم دوامها على حال واحدة ، وقصر الأيام

مهما طالت ، وتقلب الحياة بالأحياء ، ما بين

اعطاء وأخذ ، وزيادة ونقص ، وأقبال وادبار ،

وسعد ونحس ، ومثل هذا الإدراك قد يسبب

عند بعض الشعراء انتهاء الى فلسفة انتهاب اللذات ،

وسرعة الاستمتاع ، واقتناص فرص اللهو ، ما

دامت الحياة زائلة ، والصور حائلة والدنيا باطلة ،

كما تجده — مثلا — عند الشاعر المخضرم

« سحيم » الذي يحض على انتهاب اللذات ما دام

الموت نهاية كل انسان ، ويقول في ذلك :

فان لم تلاق الموت في اليوم فاعلمن

بأنك رهن أن تلاقيه غدا !

فتصبح في لحد من الأرض لاويسا

كأنك لم تشهد من اللهو مشهدا !

وكان سلوك الشاعر « سحيم » في الحياة تطبيقا

عمليا لهذه السياسة ، فاستهتر وأسرف على نفسه

في اللذات . أما معاصره الشاعر حميد الهلالي

فقد مال به ادراك غرور الحياة الى القصد

والاعتدال في طلب الحياة ... فما تكالب على

مال ، ولا تهافت على لذة ، ولا أسرف في هو ...

وما أصدقه وهو يقول في هذا المعنى :

وكائن لقينا من نعيم ولذة

وأعجبنا المصطاف والمتربع !

وقلنا : لعل الماء يربو فنقتني

وعل غلاما ناشئا يترعرع !

أمانسي عام بعد عام تعلت

بأمثالها للناس عاد ونبع

ولكنما الدنيا غرور ، ولا ترى

لها لذة إلا تبيد وتزع ..

فلله ما فوق السماء وتحتها

له المال ، يعطي من يشاء ويمنع ..!

ولا نستطيع أن نعد « حميدا » شاعرا حكيما

يقف على المستوى الذي يقف عنده الشاعر

الجاهلي الحكيم « زهير بن أبي سلمى » . فزهير

قد امتلأ شعره بالحكم ، وازدحم بالأمثال ،

حتى لنجد له في معلقته الميمية أبياتا حكيمة

كثيرة ، وخاصة تلك التي تبدأ بقوله : (ومن) .

كثل قوله :

ومن يك ذا فضل فيخل بفضل

على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن لم يلد عن حوضه بسلاحه

يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم

أما الشاعر حميد الهلالي فلم يكثر في شعره من

الحكمة والمثل ، وإن كان يروى له هنا وهناك

بيت حكيم يصح للتمثل به والاستشهاد . ومن

أبياته في ذلك قوله :

قضى الله في بعض المكارة للفقى

برشد ، وفي بعض الهوى ما يحاذر

ومن أبياته المشهورة السائرة مسير الأمثال قوله :

إذا لم يحدثك الفقى عن بلائه

أناك بما يبلى الفقى من يعاشره

وقوله من قصيدة أخرى :

وقد يركب الأمر الذي ليس حاله

إذا ما أضاقه اليه الضرائر

ويظهر ان الهدوء كان غالبا على طبع

الشاعر « حميد » ، كما كان الاعتدال مزية في سلوكه

في الحياة والمجتمع . وهو في هذا على الضد من

معاصره الشاعر « سحيم » الذي كان متطرفا في

كل شيء . ولقد مدح الشاعر « حميد » ، وهجا ،

وتغزل ، وتهكم ، ونظم في أغراض آخر ،

ولكنه لم يكن مسرفا ولا مجاوزا الحد ... لقد كان

يجري في ذلك كله باعتدال ، مع انه كان

من الممكن أن يهجو — مثلا — وبطيل لسانه

في أعراض الناس ، كما فعل عبد الرحمن

ابن الحكم ، وحسان بن ثابت ، والخطبة الذي

لم يسلم من لذعات لسانه أحد ، حتى أبوه ،

وأمه ، بل نفسه حيث يقول :

أرى لي وجهها شوه الله خلقه

فتبّح من وجهه وقبح حامله !

ولعمري أشد هجاء لحميد الهلالي لذعا

وسخرية ، هو ما قاله يهجو به

الربيع العامري حين كان واليا على اليمامة . فقد

ذكرت بعض كتب الأدب أن « الربيع » هذا بلغ

من حمقه أنه أخذ القود — أي الثأر — من كلب

لكلب آخر ، لأن أحد الكلبين عقر صاحبه !

وقد شاعت هذه الحكاية وذاعت ، حتى تنذر بها

الناس على الربيع ، وجدها الشاعر حميد فرصة

مواتية للسخرية من هذا الولي ، فقال فيه :

شهدت بأن الله حق لقائوه

وان الربيع العامري رفيع !

أقاد لنا كلبا بكلب ، ولم يدع

دعاء كلاب المسلمين تضيع !

وقد روت كتب التاريخ والأخبار ان الشاعر

حميد الهلالي أدرك عهد الخليفة عثمان ، وأدرك

مقتله . وقد أحس شاعرنا خطر الموقف حينذاك ،

فقال فيه شعرا رقيقا مؤثرا ندع روايته لمن يفضلون

أن يطلعوا على ديوان كامل لشاعر مخضرم مغمور .

سيكولوجية الرسالة

عظم : الدكتور زكريا ابراهيم

والحديث لا يكون الا بين « حاضر » و « حاضر » .
ومن هنا فاني حينما أكتب الى شخص ما من
الأشخاص انما أقوم بعملية نفسية أحاول فيها
جاهدا استحضار ال « هو » حتى يصبح أمامي
بمشابة ال « أنت » . وربما كان الأصل في الصعوبة
التي قد يستشعرها المرء أحيانا عند كتابة الرسائل
هو أن الخطاب قلما ينجح تماما فسي تحويل
ال « هو » الى « أنت » . ونظرا لأن « الغائب »
الذي نكتب اليه لا يمكن أن يكون كالحاضر
الذي نكلمه ونستمع اليه . وهنا يظهر عامل الكتابة :
فان المكتوب لا يمكن بأي حال أن يكافئ
المقول . ولعل هذا هو السبب في أننا نشعر جميعا
- حينما نكون بصدد الكتابة الى شخص نستطيع
أن نقابله ونتحدث اليه - ان « الخطاب » لا يمكن
أن يجيء مساويا للحديث ، ومن ثم فانا نؤثر
مقابلته على مراسلته . والواقع أن الكتابة قلما ترقى
في تعبيرها الى مستوى الحديث . خصوصا حينما
تكون لغة الكتابة مغايرة أو مختلفة عن لغة
الحديث ، كما هو الحال مثلا بالنسبة الى اللغة
العربية في معظم الأقطار الناطقة بها . وفضلا
عن ذلك ، فان الحديث تعبير حي يكشف عن

انسان منا لم يمسك يوما بالقلم لكي
يخط رسالة الى صديق أو حبيب
أو قريب ؟ ومن منا لم يتمن في قرارة نفسه لو كان
المرسل اليه حاضرا بشخصه . حتى يتحدث اليه
وجها لوجه . بدلا من الاقتصار على الكتابة اليه
بلغة المداد والقلم ؟ ... ومع ذلك فان قلة منا هي
التي خطر على بالها يوما أن تحلل سيكولوجية
« التراسل » . أو أن تتعمق دلالة « الرسالة » ..
وأما الباحثون النفسانيون فانهم قد وجدوا في
« التراسل » مادة خصبة للتحليل السيكلوجي .
فراحوا يدرسون عملية كتابة الرسالة لمعرفة الدوافع
النفسية التي تكمن وراءها والعقبات الذاتية التي
قد تصطدم بها ، والأنماط الشخصية التي تتجلى
من خلالها ... الخ . ومن مجموع هذه الدراسات
نشأ ما اصطلحنا على تسميته باسم « سيكولوجية
الرسالة » . وهو ما سنحاول أن نلقي عليه بعض
الأضواء في هذه العجالة القصيرة .
ان « الشخص » الذي توجه اليه الرسالة هو في
العادة شخص « غائب » ، ولكن المرء حين
يكتب رسالته فانه يحاول أن يستحضر ذلك
« الغائب » . لأن الخطاب بطبيعته « حديث » ،

الشخصية ، في حين أن الكتابة تقصر دائما عن اظهار الذات على حقيقتها . وعينا يحاول المرء العمل على تجويد خطابه ، فانه لا بد من أن يظل شاعرا بأن تلك الحروف المقروءة التي سجلها على الورق هيئات أن تعبر تماما عما يود قوله ، لو قدر له الظفر بلفاء من يكتب اليه ! وهذا - مثلا - هو شعور كاتب هذه السطور حينما يكتب الى أصدقائه البعيدين عنه ، فانه يحس احساسا عميقا بأن كل ما يخطه على الورق لا يساوي دقيقة واحدة يقضيها مع هؤلاء الأصدقاء لكي يفضي اليهم ببعض مايعتور نفسه !

هناك عامل آخر لعل منشأ طبيعة التراسل نفسه ، فان الكتابة تستلزم بالضرورة تسلسلا خاصا ، وترابطا معينا ، هما من أخص خصائص الكتابة نفسها ، ان لم نقل بأنهما من مقتضيات اللغة المكتوبة بوجه عام . ومن الواضح أن الفكرة قد تضعف في طيات الأسلوب ، أو هي قد تفضل طريقها في تضاعف الحديث المكتوب ، حتى لقد يذهب الأثر النفسي لما يريد المرء أن يكتبه لمجرد أنه يحرص على مراعاة قواعد اللغة ومستلزمات السياق اللغوي . ولعل هذا هو السر في أننا حينما نقرأ الخطاب المرسل الينا فاننا قد نحاول استعادة قراءته أكثر من مرة ، وكأننا نريد أن نقرأ ما بين السطور ، أو كأننا نسعى جاهدين في سبيل استبعاد قشرة « اللغة » من أجل الوصول الى نواة « الرسالة » ! ولا بد لنا من أن نشير ، في هذا الصدد ، الى الصعوبة التي قد يلقاها المرء في بعض الأحيان حينما يعتمد الى كتابة الرسالة . فهذا رينان (Renan) - الفكر الفرنسي الكبير - مثلا ، يصارحنا بأنه كان يجد مشقة كبرى في كتابة أي خطاب ، حتى لقد كان يقول : « ان كتابة الرسالة عندي لمي ضرب من العذاب » ! وربما كان منشأ هذا العذاب أن المرء قلما يرضى عما يكتبه ، بل هو قد يشعر في كثير من الأحيان بأن للرسالة بالضرورة طابع النقص ! ولكن ، مهما كان من نقص الرسالة ، وقصورها ، وتفككها ، وارتباطها ببعض الظروف العرضية ،

فان ما يخطه المرء لا بد من أن يسجل على القوطاس ، فيصبح بمثابة « شهادة » حية وكأنما هو قد خرج عن اطار « الزمان » وإذا كان ما يقوله المرء قد يضيع سدى أو قد يذهب أدراج الرياح ، فان ما يكتبه قد يظل محفوظا أبد الدهر ، أو قد لا يكون ثمة سبيل الى محوه والقضاء عليه ! ومن هنا كان ذلك الشعور الضمني الذي يغمرنا حينما نكتب . فاننا نحس بأن الرسالة التي ندونها قد تكون شاهدة لنا أو علينا ، ومن ثم فاننا نستشعر ضربا من « التوتر الخلقي » . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول أن في كتابة الرسالة مسؤولية اخلاقية لا تختلف كثيرا عن تلك المسؤولية التي تقتزن دائما بكل فعل نؤديه حينما نكون بازاء الآخرين ..

على أن هناك صعوبة أخرى قد تكون أجل شأنًا وأعظم خطرا في عملية التراسل ، وتلك هي الصعوبة التي قد يلقاها المرء حينما يكون بصدد « حقيقة » تريد أن تندس في صميم حديثه ، وتأبى الا أن تأخذ سبيلها الى خطابه ، بينما يكون هو نفسه حريصا كل الحرص على كتمانها أو عدم الاشارة اليها لا تصريحها ولا تلميحها . وهنا يشعر المرء بأن ثمة فكرة تطارده ويطاردها ، ويجيء احتراسه الشديد فيكون بمثابة فجوة واضحة ، أو هوة ملموسة في صميم رسالته ، وبذلك يكون حرصه على تجنب الحديث عن تلك الحقيقة سببا في انحراف عباراته عما يريد ، وبالتالي فقد تجيء رسالته معبرة عما عمل جاهدا في سبيل اخفائه ! وهذا « الجهد المقلوب » يذكّرنا بما قد يحدث للطفل الصغير الذي يتعلم ركوب الدراجة ، للمرة الأولى في حياته ، فما ان يرى قطعة من الحجر في طريقه ، حتى يركز كل جهوده في سبيل العمل على تفاديها ، ولكنه لا يلبث أن يصطدم بها ويسقط فوقها بدراجته ، لفرط ما حاول اجتنابها وتفاذي الاصطدام بها !! ومن هنا فاننا نلاحظ أن كثيرا من الناس يراجعون خطاباتهم بدقة وعناية ، وكأنما هم يريدون أن يدرسوا كل صغيرة وكبيرة في رسائلهم ، حتى لا تظهر فيها فجوات تكشف عما لا يريدون التعبير عنه !

نحس أن الرسالة التي نكتبها سوف تقع في يد شخص يختلف عنا إن في كثير أو قليل ، ولهذا فاننا نحاول - عند الكتابة - أن نضع أنفسنا موضع ذلك الشخص حتى نقف على استجابته أو رد فعله بازاء ما نكتبه . ولعل هذا هو السبب في أننا قد نجد أنفسنا مضطرين عند الكتابة الى الانتقال في كل لحظة من وجهة نظر الذات الى وجهة نظر ذلك الآخر الذي نكتب اليه ، فنقوم بحركة بندولية مطردة تنتقل فيها من « الآن » الى « الآخر » ، ثم من « الآخر » الى « الآن » ، وهلم جرا ! وليس المقصود من وراء هذه الحركة سوى العمل على تكييف الرسالة مع المرسل اليه ، حتى تجيء مساوية له ، أو متوافقة مع وجهة نظره .

والحق أن في التراسل مشكلة سيكولوجية هامة ، ألا وهي مشكلة التفاهم . وإذا كان التفاهم مشكلة واضحة ملموسة في حياتنا العادية ، وفي أحاديثنا اليومية ، فأخلق به أن يكون مشكلة أعظم وأعسر في مراسلاتنا المكتوبة . وليس من شك في أن التفاهم لا يتحقق عادة عن طريق الألفاظ والعبارات ، بل هو يتم بفعل الشخصية كلها ، وهو مالا سبيل الى توافره في الكتابة . فليس بدعا أن تجيء الرسائل أكثر غموضا والتباسا ، وأبعث بالتالي على التنازع وسوء التفاهم . ولنا في حاجة الى تفسير هذه الحقيقة . فالتعبير الحي الذي يتمثل حينما نكون بازاء الشخص نفسه لا يمكن بحال أن يتوافر حينما نكون بازاء رسالة كتبها هذا الشخص ، خصوصا وان هذه الرسالة قد لا تكون معبرة عن شخصية صاحبها تعبيرا أمينًا صادقا .

جهة أخرى ، فان في المراسلات عنصر مفاجأة قلما نعمل له حسابا ، فقد يصلك خطاب من شخص تعرفه حق المعرفة ، أو تظن - على الأقل - أنك تعرفه جيدا ، ثم تطالع هذا الخطاب فلا تكاد تتعرف فيه على شخص صديقك الذي طالما اعتقدت أنك أعرف الناس به ! وهكذا يجيء خطاب هذا الصديق فيكون بمثابة مفاجأة لم تكن في الحسبان ، ويحاول المرء تحليل هذا التغيير الذي طرأ على صاحبه فلا يكاد يجد له تفسيرا . والواقع أن الشخص الذي تكتب

الإحاطة...

أهميته في الصناعة

الجهود التي تبذلها شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) لتطوير كفاءات الموظفين العرب السعوديين ، في بادئ الأمر ، مقصورة على تدريب فردي يتلقاه الموظف من رئيسه أو زملائه أثناء العمل . ثم ما لبثت هذه الجهود ان تبلورت في برامج تدريبية منظمة تشمل دروسا نظرية وتطبيقية . وهذه البرامج التدريبية تطورت مع الأيام لتصبح فيما بعد « أدلة تدريب » خاصة يحدد فيها نوع التدريب الذي تتطلبه كل وظيفة والمشاكل المختلفة التي تعرضت لها . بيد أن أرامكو شعرت أن التدريب الذي يتلقاه الموظف في صفوف دراسية تدريبية منتظمة أعم فائدة وأوفى نتيجة . لذلك ، وثمره لهذا التفكير السليم ، ظهرت ورش التدريب الصناعي التي تم تأسيسها في عام ١٩٥٨ في كل من الظهران ورأس تنورة وبقين والتي اتخذت الدليل المتعلق بكل وظيفة من الوظائف ، أساسا بنت عليه برامجها ومقرراتها التدريبية الجديدة .

بعدئذ نظمت طريقة الالتحاق بورش التدريب الصناعي ، وأصبح على الموظف الذي يود رئيسه إرساله الى ورش التدريب الصناعي أن يكون قد أنهى سنوات دراسية معينة في مركز التدريب الصناعي . وتختلف بالطبع سنوات الدراسة باختلاف التدريب الذي سيتلقاه الموظف . فالموظف الذي يود الانتساب الى ورشة الكهرباء العملية مثلا يجب أن يكون قد أنهى خمس سنوات دراسية في مركز التدريب الصناعي ، بينما الموظف الذي يود الانتساب الى فرع الميكانيكا العامة يلزمه ستان دراستان فقط . أما الموظف الذي يود الالتحاق بورشة اللحام ، فلا يلزمه أي دراسة سابقة للانتساب ، وانما كلما كان مثقفا نوعا ما ، كلما كان أكثر المامًا بصنعتة ومقدرته على استيعاب الدروس النظرية .

يختلف عدد ورش التدريب في كل من المناطق الثلاث باختلاف حاجة الادارات اليها ، وهو يتراوح بين ثمان وثلاث عشرة ورشة من ضمنها الميكانيكا العامة ، والكهرباء العملية ، وقراءة الخرائط الهندسية ورسمها ، والسباكة ، وصيانة الآلات والمعدات ، ونظرية الكهرباء والتشغيل المهني ، والعلوم العملية ، والسباكة ، ولحام المعادن وقطعها ، وأجهزة الضبط الصناعية وغيرها . وقد تنفرد منطقة بورشة للتدريب دون غيرها من المناطق الأخرى كما هي الحال بالنسبة لورشة اللحام التابعة لورش التدريب الصناعي في





قص الأنابيب يحتاج خبرة أكثر من قص الأجسام المسطحة .

منطقة رأس تنورة والتي تقوم بتدريب الحاميين لمختلف مناطق أرامكو . هذه الورشة هي موضوع حديثنا لهذا اليوم ، وسنحاول قدر المستطاع شرح أهمية الدور الذي تلعبه في اعداد الحاميين فنيين للقيام بمختلف عمليات اللحام التي تحتاج اليها مرافق أرامكو المختلفة .

اللحام والقطع وتعريفها

اللحام في تعريفه البسيط ، هو ربط طرفي قطعتين من المعدن ببعضهما البعض ، وذلك بصهرهما الى درجة يتم عندها الالتحام ، مع استخدام أو عدم استخدام معدن ذائب من قضيب لحام اضافي مناسب .

أما عملية قص المعادن فهي تعتمد في مبدئها على مبدأ التآكل نفسه ، غير أن الفارق الوحيد في الأمر هو السرعة . فالأوكسجين الموجود في الهواء أو الماء يؤثر على المعادن المختلفة مسبباً لها التآكل والتلف والتفتت البطيء ، بينما تيار الأوكسجين الذي يسلط على المعادن في بقع تحمي الى درجة الدوبان يجعلها تتلف وتتآكل بسرعة فائقة ، فتكون النتيجة قص قطعة المعدن المطلوبة .

تاريخ اللحام

لعل أقدم طريقة مهمة للحام المعادن بعضها ببعض بعد تسخينها الى درجة الاحمرار لتلين ، هي طريقة « كبير الحداد » التي استخدمت لأول مرة في مقاطعة اللورين في فرنسا ، في القرن الثالث عشر الميلادي ، والتي كانت عديدة الأغراض وقبلما كانت تستخدم الا في صنع المعدات المعدنية البدوية واصلاحها .

بيد أن هذه الطريقة مع بدائيتها كانت تتطلب من يمارسها خبرة بكيفية احماء الحديد الى درجة الاحمرار دون أن يتأكسد أو يحترق . ولكي يتسنى للمرء ذلك ، عليه أن يضع تحت المعدن قطع الفحم الحجري التي سيحميه بها ، ثم يشعلها مسلطاً عليها تياراً من الهواء ، فتتمصص قطع الفحم من الهواء المسلط عليها الأوكسجين الضروري لاستمرار احتراقها ، وفي الوقت نفسه ، تجعل المعدن المنوى لحمه في جو خال تقريبا من الأوكسجين ، فلا يتأكسد ولا يحترق .

وبقيت طريقة اللحام هذه وأمثالها من الطرق البدائية الأخرى ، سائدة الاستعمال في مختلف

الميادين المهنية ، حتى عام ١٨٨١م ، عندما تبنى لـ «ديماريتز» استخدام الكهرباء في عملية لحام قطبي بطارية .

هذه الطريقة التي شاع استعمالها بعد خمس سنوات فقط من اكتشافها جرى تطويرها على يد «أليهو طومسن» وأصبحت تعرف اليوم باسم «اللحام التناكبي» .

أما طريقة اللحام الكهربائي بقوس من الكربون فقد تم اكتشافها في بطرسبورغ في روسيا عام ١٨٨٠م . بينما تم اكتشاف طريقة اللحام بقوس معدني ، في عام ١٨٩٥ ، على يد «سلافينوف» ، إلا أنها لم تلق الكثير من النجاح إلا بعد أن استطاع المخترع السويدي «كلبرغ» تطوير القوس المعدني وتغطيته بطبقة مساعدة للحام . هذه الطبقة من شأنها عند الاحتراق أن تنتج غازا خاملا يحول دون وصول الأوكسجين إلى قطعتي المعدن المنوي لحهما ، فتم عملية اللحام آنئذ في جو خال من الأوكسجين .

بعدئذ تطورت طرق أخرى للحام بالقوس الكهربائي وأمسى هذا النوع من اللحام فنا جديدا في عالم الصناعة المتسع الأرجاء . وفي الوقت الذي فيه اللحام بالقوس الكهربائي ما زال محدود الاستعمال نظرا لكون تطوره رهينا بمدى تطور استخدام الكهرباء ، كان العالمان الفرنسيان «ادموند فوش» و «بيكارد» ، يواصلان السعي لإيجاد طريقة جديدة للحام . هذه الطريقة الجديدة هي اللحام بالغاز ، وقد تم لها النجاح في عام ١٩٠١ . وفي غضون سنة واحدة فقط من تاريخ اكتشافهما شاع استخدام طريقتهما الإيجابية الفعالة في عالم الصناعة .

أنواع اللحام والقص

إن أهم أنواع اللحام المعروفة والشائعة الاستعمال هي : اللحام بالأوكسجين - الاسيتيلين

(Oxygen-Acetylene Welding)

واللحام الكهربائي بالقوس المعدني (Electric Metallic Arc Welding) ،

واللحام الكهربائي بقوس من الكربون (Carbon Arc Welding) ، واللحام

بقوس كهربائي في جو من الهيدروجين (Atomic Hydrogen Welding) ،

واللحام بالثرميت (Thermit Welding) ، واللحام بالحث في فرن كهربائي

(The Induction Furnace) ، واللحام في

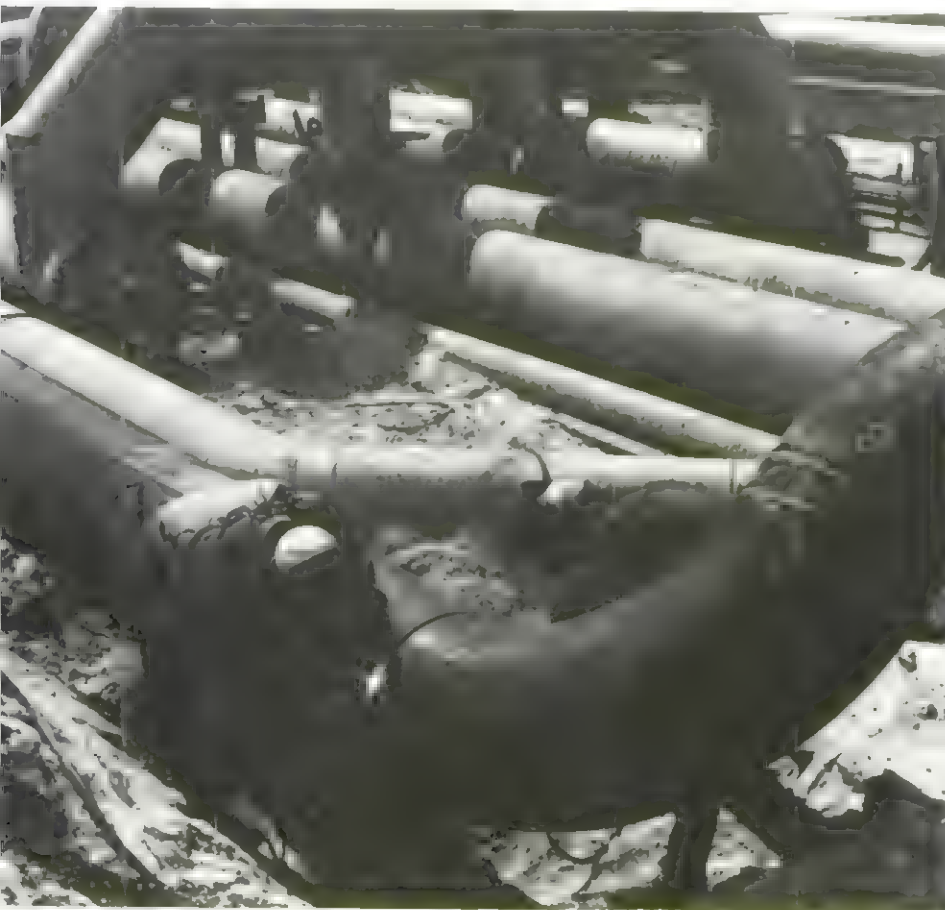
فرن هيدروجيني (Hydrogen Furnace) ، واللحام الأوتوماتيكي (Automatic Welding) أما أنواع طرق القص المعروفة فهي القص بقوس من الأوكسجين (Oxygen-Acetylene Cutting) ، والقص الكهربائي بقوس من الكربون (Carbon arc Cutting) . ويضيق بنا المقام هنا لكي نصف كلا منها .

المقصود من اللحام

قلنا فيما سبق ، أنه ليس من المفروض على الموظفين الذين يجري اختيارهم للتدريب على عمليات اللحام أن تكون لديهم دراسة علمية سابقة ، وكل ما يطلب منهم هو أن يكونوا ذوي صحة جيدة وهذا أمر مسلم به بالنسبة لجميع موظفي أرامكو . وليس للمتدربين على عمليات اللحام موعد معين يبدأون به كما أنه ليس للتدريب فترة محددة ، وإنما يتوقف طول فترة التدريب وقصرها على مدى استعداد الموظف نفسه . وكل ما هو محدد في ورشة اللحام هو

عدد الطلاب الذين يمكن تدريبهم دفعة واحدة . فورشة اللحام تتسع لـ : ٣٢ موظفا ، يوزعون على أربعة صفوف ، في كل منها ثمانية أشخاص ، ويتلقى الصف الواحد يوميا ساعتين من التدريب . وبعد التدريب يعود الموظف إلى ورشة المعادن حيث يواصل التدريب على ما تلقاه في ورشة اللحام من دروس .

ويدرب الطلاب عادة على اللحام الكهربائي بالقوس المعدني . وأول خطوة في التدريب هي تعليمهم كيفية استخدام المشعل في عمليات قص المعادن المختلفة ، ومن ثم تعليمهم نوع اللحام المعروف باسم اللحام الانشائي ، أو اللحام في الأجسام المسطحة . وخلال فترة التدريب على هذا النوع من اللحام والتي تبلغ حوالي ٢٤٠ ساعة ، يدرّب الموظف على القيام بعمليات اللحام المختلفة الأشكال والأوضاع . فهو يدرّب على اللحام من أعلى إلى أسفل ، ومن أسفل إلى أعلى وكذلك على اللحام في وضع مواجه . هذا ويدرب الطلاب على اجراء عمليات اللحام ذات الأشكال المختلفة ، كاللحام في خط مستقيم ، أفقيا كان أو عموديا



خط أنابيب ضخيم يقوم بلحم أجزاءه اثنان من اللحامين المهرة .

أو مائلا ، كذلك اللحام على شكل حرف « T » ،
واللحام على شكل رقم « ٧ » ، واللحام على
شكل قوس ، واللحام على شكل سرج الحصان ،
واللحام على شكل خطين متعامدين ، واللحام
على شكل زاوية ، وغير ذلك من الأوضاع
والأشكال . وبعد أن ينهي الطالب فترة كافية
من التدريب المستمر ، ويكون في رأي مدرسيه
قد أتم المنهاج التأسيسي المقرر ترسل عينات
من قطع الحديد التي قام بلحمها الى مختبر
خاص حيث يجرى عليها اختبار معين . فاذا
اجتاز الموظف هذا الاختبار اعتبر ناجحا وأعطى
شهادة تخوله العمل بوظيفة لحام تحت التدريب .
أما اذا فشل في الاختبار فيعاد ثانية الى ورشة
اللحام لاكتساب المزيد من المهارة ، واجتياز
الاختبار في محاولة ثانية . بيد أن المتدربين الذين
يثبت فشلهم في تعلم مهنة اللحام ، يحولون الى
مهنة أخرى يستطيعون اجادتها .

أما الموظف الذي ينهي فترة التدريب ويجتاز
الامتحان ، فعليه أن يمضي مدة لا تقل عن
سنة أشهر في العمل الفعلي . قبل أن يتسنى

موظف تحت التدريب يقوم بقص قطعة من
الحديد مستخدماً مشعل أوكسجين - أسيتيلين .



لرئيسه أن يعيده الى ورش التدريب ثانية لتلقي تدريب أعلى في هذا الحقل . ومتى عاد الموظف ثانية الى ورشة اللحام ، فهو اما يدرب على لحم خطوط الأنابيب ، أو على لحم السبائك أو على لحم الأنابيب الخاصة بمعمل التكرير أو على لحام الخزانات ، أو على اللحام بالغاز (لحام الأوكسجين) . وكل طريقة من هذه الطرق تتطلب تدريباً متواصلاً يستغرق ما لا يقل عن سنة ، ولا يصبح الموظف لحاماً الا متى تدرب على جميع هذه الأنواع من اللحام واجتاز الامتحان فيها . وأكثر ما يحرص عليه أثناء تدريب الطلاب ، مراعاة أصول السلامة ، وتعويدهم على اتباعها ، فلا يسمح للموظف بممارسة التدريب ما لم يكن مرتدياً الملابس والأجهزة الواقية .

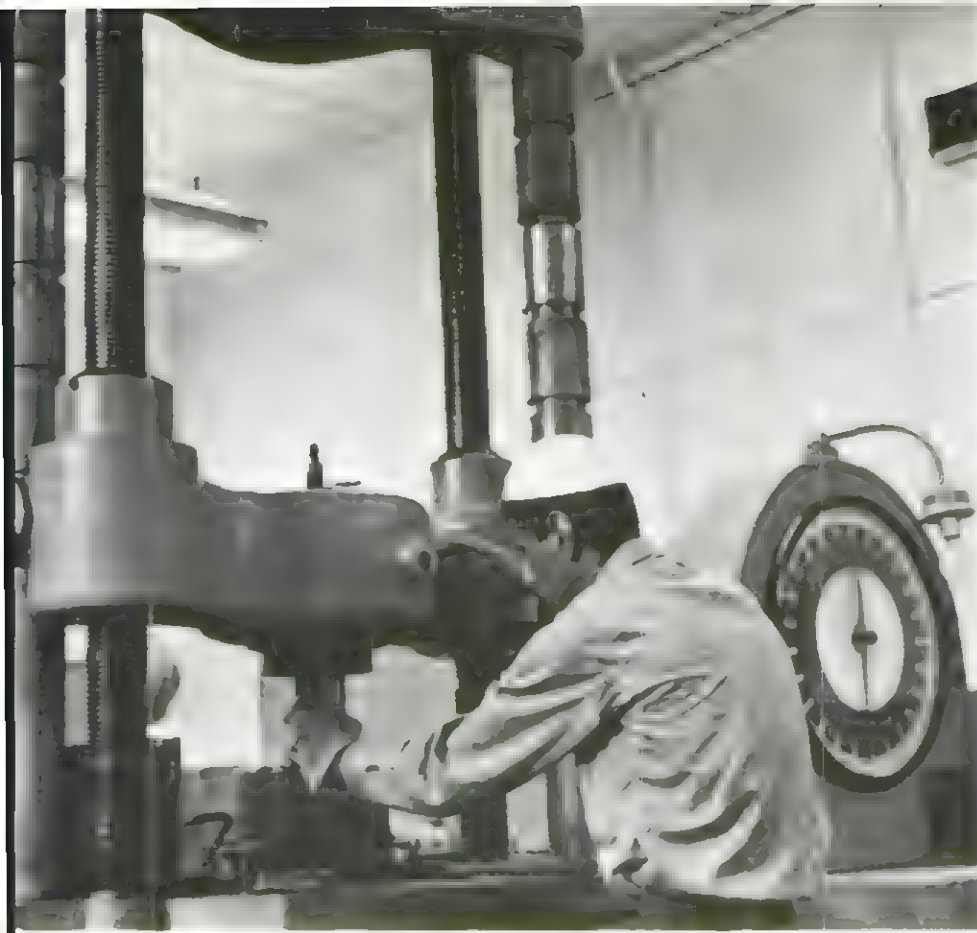
التدريب الاختياري

عملاً برغبة المسؤولين في ورش التدريب الصناعي في جعل الموظفين المهنيين يتقنون أكثر من مهنتهم اليومية التي يمارسونها ، وبناء على طلب موظفي قسم الصيانة والورش في رأس تنورة ، أقيم في ورشة اللحام دورات تدريب اختيارية بعد أوقات العمل الرسمية ، يقبل في كل منها ١٦ موظفاً ، وتعطى الأفضلية في القبول لموظفي قسم الصيانة والورش ، وذلك لأن هذه الدورات أقيمت نزولاً عند رغبتهم . وفي هذه الدورات يدرب الموظفون على اللحام الانشائي فقط ، ولا يختلف التدريب فيها عن التدريب الذي يتلقاه الموظفون في الدورات العادية .

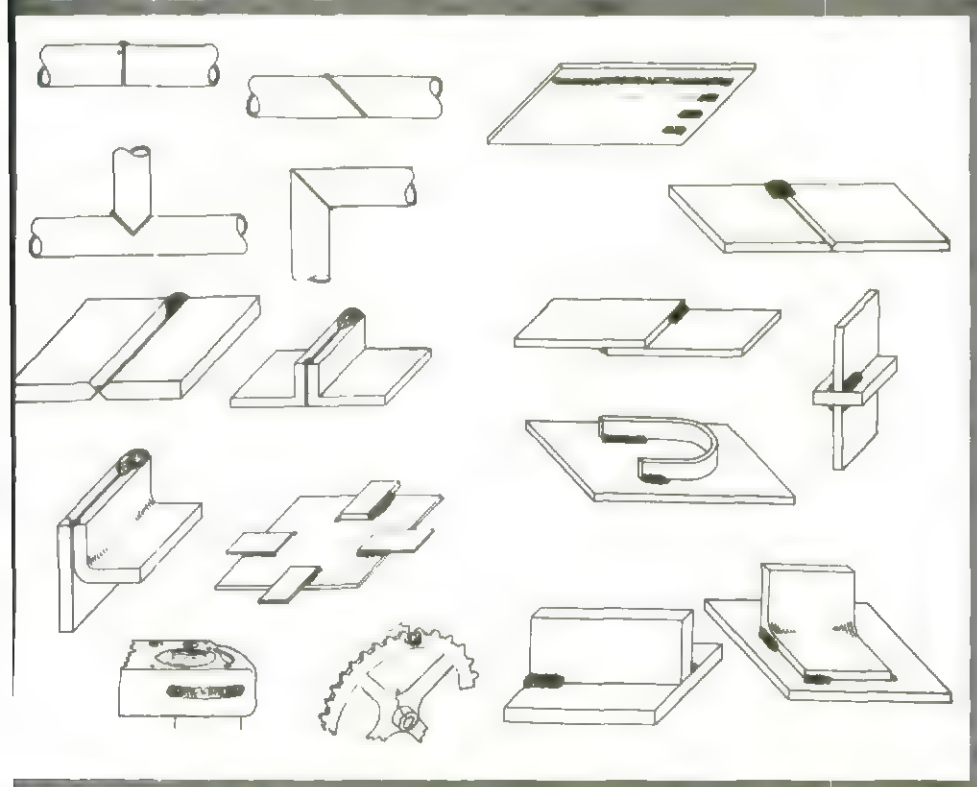
اختبار الطلاب

قلنا فيما سبق أن الطلاب الذين ينهون فترة التدريب ويرى مدربوهم أنه قد أصبح في استطاعتهم النجاح في الاختبار ترسل عينات من عمليات اللحام التي قاموا بها الى مختبر خاص . وفي المختبر يتم فحص العينات عن طريق ثنيها في ملزمة ضخمة تحت ضغط مرتفع ، في زاوية قدرها ١٨٠ درجة . فإذا كان اللحام جيداً تحملت القطع المثنية الضغط بسهولة دون أن تصاب بأي أذى ، أما إذا كان اللحام رديئاً بان في القطع المثنية خروقات وتشققات . على ضوء هذا الاختبار يعرف اللحام الجيد من اللحام ، الرديء ، وبذلك يعرف الموظف الناجح في الاختبار من الموظف الفاشل فيه .

عصام العماد



يجري ثني عينات اللحام التي يقوم بها الطلاب على هذه الملزمة ، بينما يبين العداد الظاهر في يمين الصورة كمية الضغط الذي تعرضت قطع الحديد له . تصوير : سمود الحليم



بعض أشكال اللحام التي يجري تدريب الطلاب عليها .



الدكتور مصطفى بدران وتقديم الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل و « اتجاهات جديدة في الادارة المدرسية » للأستاذ حسن مصطفى وزملائه .
• كتاب « الكلمات » لجان بول سارتر ظهرت له ترجمة بقلم الدكتور خليل صابات ومراجعة المرحوم الدكتور محمد مندور .
• من الكتب العلمية التي ظهرت في الأوان الأخير « محاضرات حاملي جائزة نوبل في الطب » وقد ترجمها عن الألمانية الدكتور محمد يحيى الهاشمي و « تحسين الانتاج الحيواني » للدكتور ابراهيم فايز مرعي و « الكيمياء العامة وغير العضوية : العناصر اللافلزية الشائعة » للدكتورين نظير عريان وسامي طوبيا و « الفضاء الخارجي » للنكولن بلومفيلد وترجمة الأستاذ زكريا البرادعي و « الاسعاف والعلاج في حوادث التسمم المنزلي » للدكتور مصطفى عبد اللطيف كامل ومراجعة الدكتور يحيى شريف .
• صدرت الطبعة الرابعة من كتاب « مقدمة في الفلسفة العامة » للدكتور يحيى هويدي ، كما ترجم الأستاذ عبد المجيد أبو النجا كتاب « مدخل لقراءة افلاطون » تأليف ألكسندر كواريه ، وراجع الترجمة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني .
• من كتب الادارة التي صدرت مؤخرا « العلاقات العامة في المؤسسات الصناعية » للدكتور حسين محمد علي و « مدخل في هندسة الانتاج » للأستاذ حسن حسين فهمي والدكتور جلال شوقي .
• أصدر الدكتور بديع شريف كتابا عنوانه « في مهبط الوحي » .
• من الدواوين الشعرية التي صدرت أخيرا هذان الديوانان « يا بحر » للأستاذ حكمت العتيبي و « زهرة النار » للأستاذ عبد الكريم الناعم .
• صدر للأديب السعودي سعد عبد الرحمن الدريسي كتاب عنوانه « فتاة الجزيرة » .

الأستاذ جبران مسعود ، كتابا « التجارب » ، و « الصحائف السود » .
• تجدد الاهتمام برسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، فظهر في وقت واحد كتابان يتناولانها كل من زاوية ، أحدهما للأديب السوري الأستاذ خليل الهنداوي وعنوانه « تجديد رسالة الغفران » والآخر للدكتور لويس عوض وعنوانه « على هامش الغفران » .
• أصدر الشاعر المهجري الكبير الأستاذ الياس فرحات في دمشق كتابا من خواطره المنثورة عنوانه « قال الراوي » فيه ترجمة ذاتية للشاعر وآرائه في الناس والحياة .
• حقق الأديب اللبناني الشيخ الياس خليل زخريا كتاب « كليله ودمته » لابن المقفع تحقيقا جديدا بارعا .
• أصدر الأديب السعودي خليل ابراهيم الفزيع الطبعة الأولى من كتابه الجديد « أحاديث في الأدب » .
• صدرت للقصص الكبير الأستاذ يوسف جوهر مجموعة أقاصيص فاخرة عنوانها « نار ورماد » تميزت بالطلاوة والبلاغة .
• من كتب القصة التي ظهرت مؤخرا رواية « القطار الأول الى بابلون » لمكس ايرليل وقد ترجمتها السيدة جاذبية صدقي وقدّم لها المرحوم الأستاذ حسن جلال العروسي والأستاذ ثروت أباظة و « نجوى » وهي رواية للأستاذ الياس عكاوي .
• من الكتب التي تبحث في علوم النفس والتربية ظهرت المؤلفات التالية : « معالم التحليل النفسي » لسبجمند فرويد ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاتي و « علم النفس : دراسة التكيف البشري » للدكتور فاخر عاقل و « التوجيه التربوي » لروحيه جال وترجمة الأستاذين محمد مصطفى زيدان ونجيب فائق اندراوس و « كيف نستعمل الوسائل السمعية والبصرية » لجون باكن وترجمة

• اقترن الاحتفال بمهرجان الشاعر التونسي الراحل أبي القاسم الشابي بظهور طائفة من الكتب عن هذا الشاعر الموهوب الكبير ، منها طبعة جديدة من ديوانه أضيفت اليها قصائد غير معروفة ، ومنها كتابان جليلان صدرا في سلسلة « مكتبة الشابي » أولهما « رسائل الشابي » وقد قدّم لها الأستاذ أبو القاسم محمد كرو ، وثانيهما « دراسات عن الشابي » وقد أعدّه وصنّفه أيضا الأستاذ كرو وجمع فيه نحو عشرين دراسة عن هذا الشاعر القدير كتبها أعلام بارزون من العرب .
• أصدر العلامة الدكتور عبد الرحمن زكي حلقة ثانية من كتابه « الاسلام والمسلمون » ، وقد عالجت هذه الحلقة شؤون الاسلام في غرب افريقية ، بينما سبقتها حلقة عن المسلمين في شرق افريقية .
• أخرج الدكتور خليل صابات طبعة جديدة كبيرة من كتابه « تاريخ الطباعة في الشرق العربي » سجل فيها تطورات الطباعة في جميع أمصار الضاد الى عام ١٩٦٥ ، وعني عناية خاصة بفنون الطباعة في جزيرة العرب كما تناول مشكلات حروف الطباعة وأساليب معالجتها .
• من أبرز المباحث الأدبية الجليّة التي ظهرت أخيرا كتاب « اللغة والتحوّل بين القديم والحديث » للأستاذ عباس حسن و « رمز الطفل : دراسة في أدب المازني » للدكتور مصطفى ناصف و « ألف ليلة وليلة » وهي دراسة جامعية للدكتورة سهير القلماوي ظهرت طبعة جديدة منها و « النقد والمنهج الواقعي » للأستاذ حسين مروّه و « من أسرار اللغة » للدكتور ابراهيم أنيس وطبعة سادسة من كتاب « الاسلوب » للأستاذ أحمد الشايب و « الموشحات والأزجال » للدكتور مصطفى عوض الكريم .
• من مؤلفات الشاعر العربي الراحل ولي الدين يكن التي أعيد طبعها مؤخرا بتحقيق وتقديم

جولة في الشعر العربي المعاصر

كتاب الشعر

تأليف : ابراهيم العريض

عرض وتحليل : الدكتور نبيل الميلاوي

هل يصلح الشاعر ناقدا للشعر .. ؟
سؤال قديم ظل حائرا عبر
الأجيال دون أن يلقي جوابا حاسما ...
فالشاعر وهو يتصدى لأمانة النقد يحاول
جاهدا أن يتجرد من الذاتية ... انطباعاته
وعواطفه ، ومذهبه ، وأسلوبه ... الخ .
ومع ذلك تظل آثار هذه الذاتية عالقة
بنقده بدرجات متفاوتة وفي الوقت نفسه
يغدو من العسير القول بتحريم النقد على
الشعراء أو وصمهم بالفشل اذا ما أدلو
بدلوهم في هذا الميدان . لأن كل
شاعر في أعماقه ناقد بصير يوجهه
ويشذب شعره في حدود الاطار العام
الذي رسمه لنفسه أو رسمته له الظروف .
والناقد الشاعر يفيد بقدر غير قليل من
موهبة الشعرية وهو بصدد تسليط
أضواء النقد على قصائد غيره من
الشعراء .

كانت هذه الآراء والأفكار ملء خاطري
وأنا أقلب بين يدي كتاب « جولة في الشعر
العربي المعاصر » لشاعر البحرين الكبير
الاستاذ ابراهيم العريض وأتساءل هل أجد
في هذا الكتاب جوابا شافيا عن ذلك السؤال
الحائر . هل يصلح الشاعر ناقدا للشعر ؟

وعندما وصلت الى نهاية فصول الكتاب
استبان لي أن الأستاذ الشاعر قد كفانا
موثونة العثور على جواب عن السؤال .
فالمؤلف وهو يدبج فصول الكتاب التي
تضمنت عرضا وتحليلا لنماذج مختارة من
الشعر العربي المعاصر كان في الحقيقة
شاعرا كبيرا ولم يكن ناقدا .

يختار الشاعر معانيه من بين شتى
المعاني التي تزخر بها الحياة
الانسانية ، وكما يتتقى ألفاظه بعناية من بين
عديد من الألفاظ المنتشرة في اللغة . اختار
الأستاذ العريض بمهارة فائقة حوالي
عشرين قصيدة من عيون الشعر العربي
المعاصر لشعراء مختلفين وعمد الى كل
قصيدة فاختار أجمل ما فيها لفظا ومعنى ،
وعرض هذه الخلاصة في فصول كتابه
المتابعة وعمد في كل فصل الى اظهار
مواطن الجمال في هذه الأبيات بأسلوب
شاعري رقيق فجاءت هذه الفصول أقرب
الى الشعر المنشور خالية من « الأسلوب
العلمي » و « الاحكام النقدية » .

بدأ الشاعر جولته بقصيدة « الصحراء »
للشاعر الأخطل الصغير ثم « هات الدموع »
لفؤاد الدين الخطيب . و « في المستشفى »

لصالح جودت ، و « أنا وابنائي -
حول المدفأة » لمحمود غنيم ، و « لحن
البلر » لحمدى صبرة ، و « فاتحة
الأعاصير » للشاعر القروي و « لبنان »
لعمر أبو ريشة ، و « عود الربيع » لأمين
نخلة ، و « جبي » لخليل شيبوب ،
و « ألهميني » لعبد اللطيف شرارة ،
و « أنت » لألير أديب ، و « الطفل »
لخليل مردم . و « الطريق الأخضر » لعلي
محمود طه ، و « وحياة عنيك » لمحمد
علي الحوماني ، و « يا ابن الأراكسة »
لعبد الحميد السماوي ، و « الى الزعماء »
لابراهيم طوقان ، و « رسائل محترقة »
لابراهيم ناجي ، و « الأسرار » لايلى
أبو ماضي ، و « تينة الجبل » لأحمد
الصافي ، و « العاصفة » لصالح لبكي ،
و « رثاء زوجة » لعبد الرحمن صدقي ،
و « حتى أمام الفناء فرق » لمحمد الفيتوري ،
و « أهل الحمى » لفدوى طوقان وغيرها .
وكانت خاتمة المطاف قصيدة « نوح
العندليب » للشاعر السوري شفيق جبري .
واذا كان لا بد لنا من اختيار بعض هذه
القصائد لعرضها وعرض آراء المؤلف -
بشأنها - وهي مهمة شاقة لا شك - فإني

أوشر عرض ثلاث قصائد وقفت أمامها طويلا ... قصيدة « هات الدموع » للشاعر الأردني فؤاد الدين الخطيب ، وقصيدة « الطفل » للشاعر السوري خليل مردم ، وقصيدة « يا ابن الأراكة » للشاعر العراقي عبد الحميد السماوي .

ولنبداً بقصيدة « هات الدموع » ... يقول الشاعر فؤاد الدين الخطيب :

هات الدموع وحسبي في البلاء بها
ان الدموع يد لله يفضاء
فالغيث يوم تكون الأرض مجدبة
كالدمع يوم تمس النفس ضراء
سل التراب فكم في طيه اختبأت
عين يحدثنا عن دمعها الماء
وما الخريف سوى شجو يغص به
كما تغص بشجو البين خرساء
ما انفك متصل الأسباب منجما
في الأرض منذ بكت في الأرض حواء

اني لأسمع في الابريق غمغمة
فانظر فهل فيه عن ماضيه أنباء
لعله كان قلبا سال من شجن
لعاشق - فيه أوطار وأهواء

يتحدث المؤلف عن هذه القصيدة في فصل بعنوان « الشعر عقل وعاطفة » يشير فيه الى أن هذه المقطوعة الصغيرة قد تناولت معنى قد يبدو أول وهلة عاديا ... يكاد لفرط ابتذاله عند كثير من الشعراء لا يوحى لهم بشيء ، وهو معنى قطرة الدمع وأثرها في تسكين النفس وتهديتها . ولكن الثقافة العميقة التي يتمتع بها الشاعر تأخذ في البناء حول هذا الموضوع - قطرة الدمع - كما تبني المحارة طبقة فوق طبقة حتى تتحول الذرة الدخيلة بعد فعل الزمن الى درة نادرة الوجود .

فالشاعر يرى الدموع بلسما في الحياة لا يقتصر على العاتين والأقوياء وإنما تشمل فيما تشمل الإنسانية كلها دون تحديد زمان أو مكان .

ويرى المؤلف أن هذا السمو من الشاعر الذي بسط نظرتة في أفق تجاربه الواسعة وجعل منه انسانا ينطق بلسان بني جنسه ... لا محدودا بقيود الجنس والزمان والمكان . ويتأمل المؤلف هذا البيت مبهور الأنفاس :

لعله كان قلبا سال من شجن
لعاشق فيه أوطار وأهواء
ويستشف منه أن الشاعر قد التفت الى ما أحس به قبله المتنبي فالمعري فالخيام وهم الذين قالوا قبله و « يدقن بعضنا بعضا وتمشي أواخرنا على هام الأولي » و « رب لحد قد صار لحدا مرارا : ضاحكا من تراحم الأضداد » و « تطوينا الأرض لتثنا فتثنا لتطوينا » .
فحياة الانسان على الأرض - اذن - لا تتجاوز تاريخ الطين - ... من أولها الى آخرها !!

وقد استلقت نظرنا في هذه القصيدة - بجانب ما أشار اليه المؤلف - ان الشاعر فؤاد الدين الخطيب استطاع أن يجمع بمقدرة فائقة بين عمق المعنى وعذوبة اللفظ . أما عن المعنى فيكفي أن نتأمل البيت الثاني ان الغيث حينما يهيم على الأرض المجدبة ، يحيلها من النقيض الى النقيض .. من حالة القفر والجذب الى الخصب والنماء وكذلك الدموع فانها لا تسمح فقط الآلام وإنما تحيل النفس البشرية أيضا من النقيض الى النقيض من حالة الأسى والحزن الى الراحة والانشراح ومصدر التحول في الحالين واحد ... الماء ينزل من السماء في الحالة الأولى ويتساقط من عيون البشر في الحالة الثانية ... !!

أما عن اللفظ فانظر الى هذه الألفاظ التي تشيع فيها الموسيقى الشعرية بقدر غير قليل ... الخريف ، شجو ، غمغمة ، شجن ، أوتار ، أهواء ، تمس . الغيث .. هذا عن قصيدة « هات الدموع » للشاعر فؤاد الدين الخطيب . أما قصيدة

« الطفل » للشاعر السوري خليل مردم فقد اختار منها المؤلف هذه الأبيات :

هش لما طفلة أمه
ودنا من وجهها بالراحتين
حار ما بينهما شوقهما
قبة تجزيه عنها قبلتين

واذا ما عبثت في وجهه
عبثا أو دفعته باليدين
جمع الأنف وضم الشفتين
وزوى اللحظ وهز المنكين
وبدا الغيظ ولو دافعه
والحيا في وجهه ممتزجين
لج بي فرط حناني فأنا
من بكاء وابتسام بين بين
بسمه حيرى أطافت بغمي

حين حارت دمعتي بالقلتين
عمد المؤلف الى شرح هذه الأبيات في فصل بعنوان « التصوير في الشعر » أشار فيه الى الحرية التي أعطاها الشاعر لنفسه في التصوير وإلى تجاوز الصورة حيزي اللوحة الأثنين - في إطارها الفني - الى الحيز الثالث ، عمقا ، وإلى الحيز الرابع الذي نعبر عنه بالزمان من جهة ثانية بحيث لم تعد الصورة مجسمة فحسب ، بل عادت وكأنها تنبض وتحرك مع الحياة ...

ويضيف المؤلف الى ذلك أن الشاعر قد لجج به فرط الحنان لطفله فرسم هذه الصورة التي رأيناها بريشته الفاتنة وظل يلجج به فرط الحنان حين رسم صورة حاله أيضا وأنه ليشعر ككل أب ازاء طفله بهذه الرقة التي تفر في وجهه ابتسامة رقيقة ولكنها في الوقت عينه قبل نظرائه - لفرط الحنان بالدمع المترقق ، هذا الدمع الذي يظل في فرحة القلب الحنون لا يهيم على الخدين ولا يغيض . ويختتم المؤلف هذا الفصل هكذا (كان الشاعر جد موفق في هذه القطعة فهل يسمح لي بأن أنهيه) ، أما الذين يريدون من الشاعر « عاطفة »

وهم لا يفقهون معناها الا في مثل قول
القائل :

إذا بلغ الفطام لنا صبي

تخر له الجبابر ساجديننا
أو «الموسيقى» فلا يتصورونها الا في
مثل ضربات الطبل فليبحثوا عنها في غير
هذا المكان . وانني اذ أضمت صوتي لصوت
المؤلف في تهنئة الشاعر على هذه الصورة
الشعرية الممتازة فأنني أتساءل ما الذي جناه
عمرو بن كلثوم لكي يستحق من المؤلف
هذا الغمز واللمز .. وهذه المقارنة غير
المتكافئة؟ وعمرو بن كلثوم لم يكن يتحدث
عن الأطفال والأمهات والعواطف الانسانية
وانما كان يتحدث عن الحرب والقتال
بأسلوب ذلك العصر في الفخر والمباهاة ...

رأى خاتمة المطاف في جولتنا مع
الأستاذ العريض فهي قصيدة
يا ابن الأراكة للشاعر العراقي عبد الحميد
السماعي يقول فيها :

يا بلبل القفص المطل
وشاعر الروض الأغن
ما كان ظني أن أراك
مغرودا ما كان ظني

فالخزن أعمق نغمة

من نغمة الوتر المرن

لحن النفوس الشاعرات

إذا تجيش بغير لحن

وإذا علا صوت النعي

بمحفل سكت المغني

يا ابن الأراكة قد قتلت

مسرّي وأثرت حزني

أو لم تكن أبناء لحن

واحد ولدات فن

نصغي الى وحي الجمال

ونثرئب لكل حسن

أنت الأسير بلا فدى

وأنا الطليق بغير من

تشدو وأنت بمحبس

وأنا أنوح بمطمئن

وقد تحدث المؤلف عن هذه

القصيدة في فصل بعنوان «الموسيقى الشعرية»

يقول فيه أن هذه القطعة زاخرة بالموسيقى

الشعرية ولكن لو سألت سائل أين هذه

الموسيقى لأعياء أن يبين مآثاها الا

في هذا الانفعال المنسجم الذي يحس

به لدى الانشاد .

ويأخذ بعد ذلك في شرح أبيات
القصيدة واحدا تلو الآخر مدلا على
وجهة نظره . ولعل القارئ الكريم يشاطرنني
الرأي في أن البيتين الأخيرين يستحقان
منا أن نقف أمامهما وقفة قصيرة قبل أن
ننهي المقال ونضع القلم ...

لقد أجرى الشاعر مقارنة طريفة بينه
وبين البلبل ... البلبل أسير والأصل أن
الأسير يكون حزينا ساهما واجما لا يملك
الا النواح والبكاء ... والشاعر حر طليق
وخليق به أن ينصرف في ظلال الحرية الى
الشدو والغناء ... ولكن الآية تنعكس ...
فيشدو الأسير ويبكي الطليق ومن بكاء
هذا وشدو ذلك يكتمل للقطعة التي اختارها
الشاعر روعتها وجدتها ...

ويعرف : فاذا كان الاستاذ العريض
قد أثرى الشعر العربي بعدد
من الدواوين والقصص الشعرية أذكر منها
على سبيل المثال «العرائس» ، و «قبلتان» ،
و «شموع» فان هذا الكتاب «جولة في
الشعر العربي المعاصر» يستحق أن يأخذ
مكانه عن جدارة بين الكتب الجادة في
المكتبة العربية الحديثة .

- ١ -

أ - اليورانيوم

ب - الهيدروجين

ج - اثنان وتسعون عنصرا

- ٢ -

أ - كركرة البعير

ب - لبان الفرس

ج - زور السبع

- ٣ -

أ - ايليا أبو ماضي

ب - ابوبكر محمد بن أحمد بن حمدان

المعروف «بالخباز البلدي» وكان أميا .

- ٤ -

أ - الشمعة

لهجوة حاول ان تجيب

تملك الأقدمون من الولوج الى الكون الشاسع الذي يحيط بنا ، وخلقوا وراءهم ثروة لا بأس بها ، تتعلق بالأجرام النيرة في القبة الزرقاء . وبالرغم من بساطة الأجهزة التي استخدموها ، فإن المعلومات التي حصلوا عليها لا تزال مراجع على كثير من الضبط والفائدة في علم الفلك . على أن اكتشاف المرقب على يد غليليو عام ١٦١٠ ، كان فتحاً عظيماً في عالم الفلك ، لأنه قرب الأجرام السماوية ، وبه تمكن من مشاهدة الجبال على سطح القمر وظلالها والفوهات البركانية ، كما توصل الى رصد المشتري ، وهذا سيار يدور حول الشمس على بعد ٤٨٣٠٠٠٠٠٠ ميل ، وكشف عن أربعة أقمار تدور حوله ، كما يدور القمر حول الأرض . كل هذا كان بواسطة أنبوب مركز في أحد طرفيه عدسة محدبة ، وفي الطرف الآخر عدسة مقعرة ، تجمع الأولى الأشعة من جسم ما ، وتظهر الصورة مكبرة بواسطة العدسة العينية .

كان على الفلكيين أن يفتشوا عن وسائل لتحسين المراقب واتقانها ، ليذهبوا الى أبعد مدى في درس الأجرام السماوية . لقد كان مقياس العدسات في بادئ الأمر من مقدار خمسة الى عشرة سنتيمترات ، أما اليوم فهناك عدسات يبلغ قطرها مائة سنتيمتر ونصف ، وهذا أكبر ما توصل الفن الى صنعه . ولا تزال هذه العدسة تعمل في حقل الدراسات الفلكية لمدة ٦٥ عاماً في مرصد يركز (Yerkes) ، في الولايات المتحدة الأمريكية . ونظراً لصعوبة العمل في إيجاد عدسات كبيرة ، لجأ الفلكيون الى صنع مرايا كبيرة ، تحل محل العدسات في جمع أشعة الضوء . لذلك نجد اليوم في المراصد الكبرى مرايا مقعرة يبلغ قطرها نحو خمسمائة سنتيمتر ، كما هي الحال في مرصد بالومار (Palomar) ، وهذا المرصد يتمكن



من رؤية آلاف الملايين من النجوم ، بينما تتمكن العين المجردة من رؤية ستة آلاف منها .

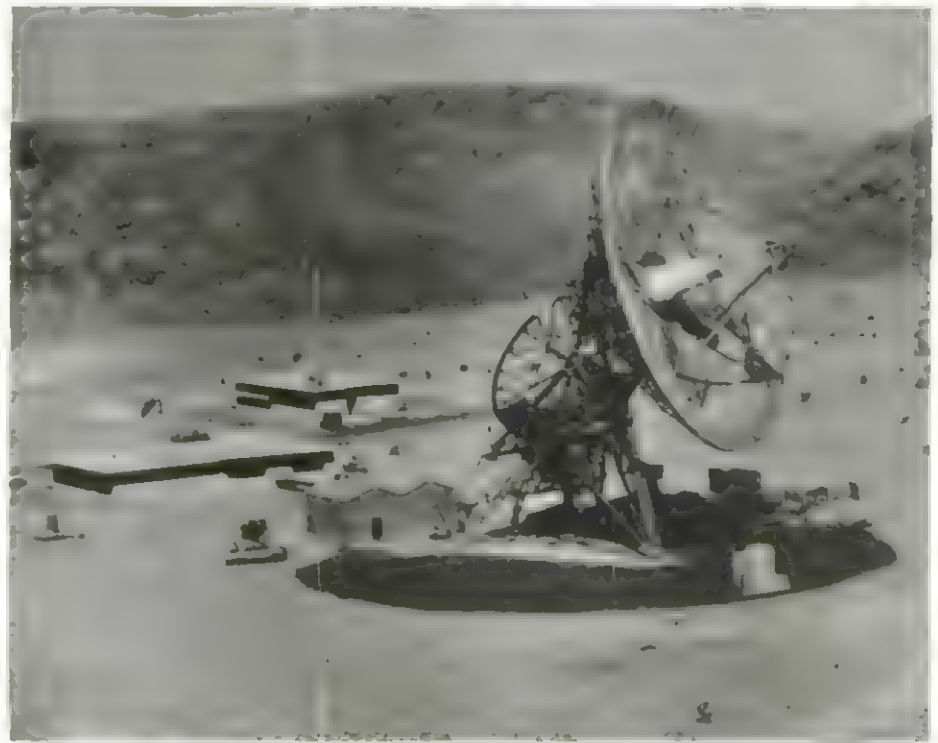
الفلكيون زمننا يعتقدون أن بإمكانهم حصر عدد النجوم ، ظنا منهم بأن المراقب الضخمة قد نفذت الى ابعد حدود الكون . والمعروف اليوم أن الشمس ، وهي مركز النظام الشمسي ، ومنه أرضنا والسيارات الأخرى ، هي واحدة من مائة بليون شمس ، توف ما يطلقون عليه اسم نظام المجرة أو سديم المجرة ، وهو المعروف عند العامة بدرب التبانة . واليه أشار الشاعر العربي عندما قال :

واظمأ ان ابدى لي الماء مئة ولو كان لي نهر المجرة موردا ويذهب الفلكيون متوغلين في الكشف عن أسرار لم تتمكن أقوى المراقب البصرية من التوصل اليها ، وذلك بفضل المرقب الراداري . فما هو هذا الجهاز الجديد الحساس ، وعلى ماذا يرتكز ، وما هي الأمور التي حققها ؟

أما المرقب الراداري فهو في الأساس سلك هوائي ، كالسلك الذي يرتفع فوق سطوح البيوت لالتقاط الاذاعات الراديوية ، لكنه يتألف من اجزاء على كثير من الدقة والاتقان ، وفي الواقع هو مجموعة من الأسلاك الهوائية ، معدة لالتقاط أمواج ذات أطوال راديوية قصيرة ، صادرة من خارج جو الأرض . وتعود فكرة هذا المرقب الى عام ١٩٣٢ عندما تبين لمهندس لاسلكي أن أصواتا غريبة تأتيه من خارج نطاق الأرض ، من جهة الفضاء الذي تقع فيه مجرتنا ، وانها ليست صادرة من محطة لاسلكية أخرى . تعاقب العلماء على درس هذه الظاهرة ، فأثبتوا أن مصدرها هو نواح معينة في الفضاء ، وانها تأتي من مناطق حيث لا توجد أجرام مضيئة . وهكذا تمكن الانسان من الولوج الى مسافات تبلغ آلاف الملايين من السنين الضوئية ، بواسطة أطباق وأسلاك توف المرقب الراداري . ويعتقد الفلكيون

أن هذا المرقب سيمكنهم من الوصول الى أبعد حدود الكون ، أي خمسة أو ستة آلاف مليون سنة ضوئية . وإذا كان هناك من سدم وراء تلك الحدود ، فانه ليس بإمكان المرقب الراداري أن يقرر ذلك ، لأن تلك السدم تبعد عنا بشكل سريع للغاية . ظل المرقب الراداري في «جودريل بانك» أكبر جهاز الى أمد قريب ، وهو صحن مخروطي الشكل من قياس ٧٥ مترا ، وفي وقتنا الحاضر يوجد عدد من المراقب في الولايات المتحدة الأميركية ، احدها من قياس ٨٧ مترا ، وهو موجود في معهد كاليفورنيا التكنولوجي . وهناك مرقب آخر في الولايات المتحدة الأميركية ، تم بناؤه بالتعاون بين البحرية الأميركية ومعهد كاليفورنيا التكنولوجي ، قطره من مقدار ١٨٣ مترا ، وله طبق عاكس مساحته ٢٦٠ مترا مربعا . كما قامت الولايات المتحدة الأميركية بانشاء جهاز آخر في أريسيو بيويرتوريكو ، وهو مجهز بأكبر هوائي عاكس ، ويبلغ طول قطر هذا الهوائي ٣٠٠ متر ويبلغ عمقه ٤٧ مترا ، وهو بشكل قصعة أو طبق . لقد جهز هذا المرقب بأشد الأجهزة حساسية ، وذلك للكشف عن الاشارات اللاسلكية الصادرة من النجوم النائية ، كما انه سيقوم بقياس كثافة الجزيئات في الطبقة المتأينة ، ودرجة حرارتها وحركتها . لقد شعر العلماء بحاجة ماسة للحصول على المزيد من المعلومات عن هذه المنطقة ، لأن جميع المركبات الفضائية عليها أن تمر خلالها ، كما انها تعكس الأمواج اللاسلكية الى الأرض .

يتخذ الفلكيون السنة النورية وحدة للتعبير عن الابعاد التي تفصل الأجرام السماوية عن الأرض ، لأن الوحدات العادية ، كالكيلومتر والميل ، تصبح شيئا زهيدا في هذا المجال . والنور يقطع حوالي ٣٠٠.٠٠٠ كيلومتر في الثانية ، فتصبح السنة النورية ، أي المسافة التي يتمكن



مرقب تستخدمه ادارة شؤون الفضاء والملاحة الأمريكية في تتبع سير الامطار الاصطناعية .

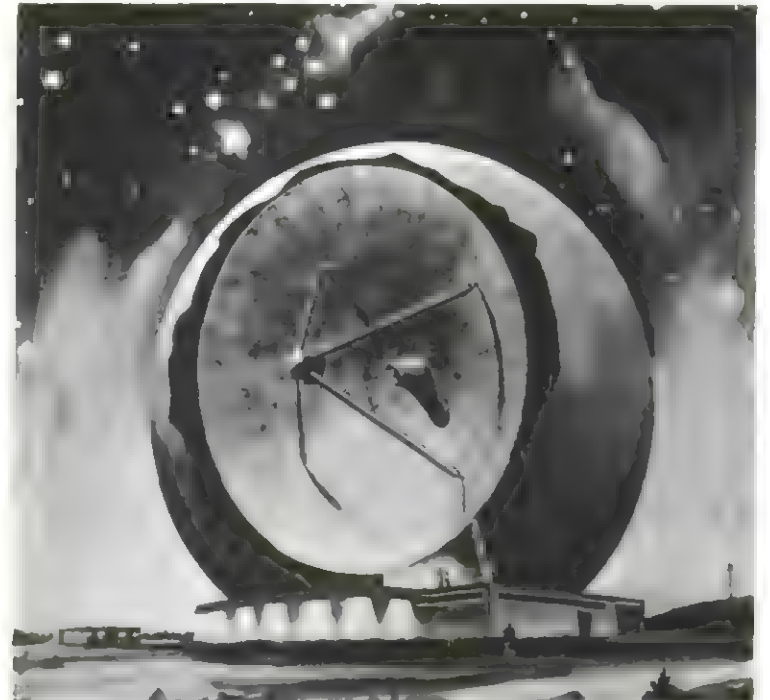
القمر الى نشاطه في ارسال اشارات راديوية ، متابعا سيره بعد أن مر عليه شهران في فراغ لا تتمكن من الوصول اليه أقوى المختبرات ، تنصب عليه الأشعة من كل النواحي .

هذا قليل من كثير قام وسيقوم به المرقب الراداري ، وهو يختلف عن المرقب الراديوي ، اذ أن هذا الأخير يستقبل ويدرس بثا راديويًا يتولد في النجوم والسدم بعمليات طبيعية ، بينما يقوم المرقب الراداري بارسال أمواج من الأرض الى الأجرام السماوية كالشمس والقمر والزهرة ، ويحلل هذه الأمواج بعد ان تنعكس وتعود الى مصدرها . كل هذا له علاقة مباشرة بحياة الأمم وسباقها للتعباش والبقاء . لذلك نرى أمة كالأمّة الأميركية تبذل نحوًا من مائة مليون دولار لمرقب واحد . ولا تمر دقيقة واحدة فني عصرنا هذا دون أن يسجل القلم حدثًا مهما في معرفة المزيد عن أسرار الفضاء ومحتوياته .

النور من اجتيازها في سنة واحدة ، عشرة بلايين كيلومتر . وهذه هي بعض الأجرام السماوية ، والمسافات التي تفصلها عن الأرض ، كما حددها المرقب الراداري .

الأرصاء الرادارية	المسافة بالأميال	المسافة بالسنوات النورية
نجوم غير معروفة	٥ × ١٠ ^{٢١} ونيث	١٠٠٠ مليون
سديم هركيوليس	٥ × ١٠ ^{٢١}	٨٠٠ مليون
أقرب نجم مرئي	٢,٥ × ١٠ ^{١٣}	٤ سنوات
المشتري (السيار)	٥٠٠ مليون	٤٠ دقيقة
الشمس	٩٣ مليون	٨ دقائق

يقتصر عمل المرقب الراداري على درس الأجرام السماوية الثانية ، بل كان له شأن في تتبع سير الأقمار الاصطناعية ، وتسجيل مواقعها بدقة فائقة . ومن أطرف ما حدث في هذا الباب ، هو متابعة قمر اصطناعي أطلقته أميركا في الفضاء ، في شهر أيار (مايو) ثانية ، وبموجب تلك الإشارة حدث تيار كهربائي في أسلاك أنبوب الجهاز المرسل . عقب هذا فترة استراحة لمدة ست ساعات لكي تملأ البطاريات ، ثم صدرت إشارة أخرى للقمر ليرسل شحنة كاملة فسي الصمامات . وبالتعاون بين المختبرات في كاليفورنيا والمرقب في جودريل بانك ، عاد



يستخدم هذا المرقب الذي يبلغ قطره ٦٠ قدما في جامعة هارفرد بولاية ماساشوستس الأمريكية .

هوائي عاكس يتوسط الصحن الكروي الذي يقيه من المؤثرات الجوية .



اديسون

بنظر الدكتور جمال الدين الرمادي

يمكن أديسون ذلك المخترع العظيم على جانب كبير من الذكاء منذ نعومة أظفاره ، بل كان على العكس من ذلك مثالا للبلاهة والخمول . الا أنه وهب عزيمة قوية وإرادة حديدية ، دفعته الى اختراق كل ما صادفه من عوائق وتخطي كل ما قابله من عقبات .

ولد توماس اديسون مخترع المصباح الكهربائي والسينما توغراف والفونوغراف أو الحاكي وغيرها من المخترعات الحديثة في قرية « مويلان » الصغيرة بولاية « أوهايو » في الولايات المتحدة في ١١ فبراير عام ١٨٤٧ .

والتحق بمدرسة « بورت هورن » في ولاية ميتشجن « الأمريكية وهو في السابعة من عمره . بيد أنه لم يستمر في دراسته في هذه المدرسة غير ثلاثة أشهر ضاق فيها بالدراسة ، والمدرسين ، وضاق به المدرسون أنفسهم حيث لم يظهر أي تقدم

في دروسه ، مما اضطر والده الى اخراجه من المدرسة . ولما كانت والدته « نانسي البوت » تشتغل مدرّسة في إحدى المدارس فأنها عكفت بنفسها على تعليم ابنها في المنزل حيث قرأ بإشرافها عددا من الكتب منها كتاب « قاموس العلوم » للمؤلف بور ، وتاريخ انجلترا للاستاذ هيوم ، وكتاب اضمحلال الدولة الرومانية وزوالها للمؤرخ جيبون .

وقد حاول اديسون في صباه أن يقرأ كتاب « اسحق نيوتن » غير انه لم يستطع أن يهضمه أو يستوعبه ، ومنذ ذلك التاريخ ضاق بالرياضيات ضيقا شديدا .

ولم يكن والد اديسون على حظ من الثراء ، لذلك كان لزاما على توماس أن يعمل في سبيل كسب قوته فاشتغل فترة بائعا للصحف وفترة بائعا للحلوى ، وكان ينتقل ببضاعته بين محطات السكك الحديدية ، ليعرضها على الزبائن من أجل لقمة العيش . وكان أبوه قد ضجر من الانفاق عليه حين بلغ الثانية عشرة من عمره عام ١٨٥٩ واخذ يبحث له عن عمل ثم فاجأه ذات يوم بقوله انك يا توماس على جانب كبير من الصحة والنشاط ، وحين الوقت الذي يجب أن تكسب فيه قوتك بعرق جبينك حتى لا يكون لأحد فضل عليك ، وقد حصلت لك على وظيفة « صبي قطار » في سكة حديد شيكاغو - ديترويت .

صبيحة اليوم التالي التحق صبيحة أديسون بعمله الجديد ، واستطاع أن يستخدم ثلاثة عمال يشتغلون لحسابه في بيع الصحف والمجلات في القطار على حين كان يعكف توماس اديسون في إحدى عربات البضاعة على قراءة الكتب التي كان يشتريها ابتغاء تثقيف نفسه وتوسيع مداركه . وأغرم اديسون بدراسة كتاب في التحليل لعالم كيميائي ألماني يدعى « فريز نباس » وبلغ من ولعه بالكيمياء أن انشأ لنفسه معبلا صغيرا في ركن من أركان

أحدى عربات البضاعة في القطار الذي كان يستخدمه لنشاطه التجاري . اذا وقف القطار في محطة وكانت نهائية لمدة طويلة نزل من معمله الكيميائي واتجه صوب القاطرة يدرس أجزاءها وطريقة عملها ثم يمضي الى مكاتب التلغراف ويتأمل في كيفية ارسال الاشارات ويسأل العمال ان يوضحوا له ما خفي منها .

وحدث ان أنقذ اديسون غلاما من موت محقق واتضح ان هذا الغلام هو ابن ناظر محطة « مونت كليمتس » في ولاية ميتشجن واسمه « ماكزوي » فكافأه الأخير على ذلك بأن علمه فن التلغراف . وسرعان ما وضع اديسون بنفسه خطا تلغرافيا بين محطة السكة الحديدية في « بورت هورن » وبين تلك القرية فصار ذلك الخط وسيلة مربحة للمخابرات بين المحطة وبين المكاتب الرسمية المحلية ، وقد أتاح له ذلك أن يعين في وظيفة عامل تلغراف عند « ستراتفورد جنكشن » في كندا وكان ذلك عام ١٨٦٣ .

وقد ظل اديسون يشغل وظيفة عامل تلغراف فترة طويلة غير انه لم يكن يكتفي بتلقي الاشارات وارسالها بل كان يدرس الجهاز التلغرافي دراسة دقيقة ويسعى الى ادخال التحسينات فيه ، مما جعله طول اشتغاله بالتلغراف يهتم بالصوت وتسجيله . ففي عام ١٨٦٨ سجل أديسون أول اختراع في هذا المجال وكان عبارة عن مسجل كهربائي للصوت .

ويحكى عن اديسون انه بعد هذه السنوات الطويلة من التجارب استطاع أن يجعل الحديد يتغنى بالأغنية الانجليزية « كان لما ري حمل صغير » ودعا أصدقاءه لكي يروا هذا المخترع الجديد ، واجتمع الأصدقاء ومعهم العمال حول هذه الآلة الحديدية التي وقف اديسون بجانبها ، وكانوا جميعهم يعتقدون أن اديسون واهم

كاذب فلما أدار اديسون الآلة وسمعوا الحديد يتكلم علاهم شيء من السكوت كأنهم صعدوا وصاح واحد فيهم وكان ألمانيا «ربي في السماء» ! ثم انتهت فترة السكوت ووقف الجميع حول اديسون وآلته كالحلقة واشتبك كل واحد والآخر بيده ثم أخذوا يرقصون وينشدون الأناشيد الجماعية . وكانت هذه هي هزة الطرب استخفتمهم جميعا لرؤية هذا الاختراع العجيب الذي كان حدثا عجيبا قبل اختراع الراديو والتلفزيون وغيرهما من المخترعات الحديثة .

والطريف أن اديسون اشتغل فترة من حياته في إصدار مجلة صغيرة أطلق عليها «ويكلي هيرالد» وصدر العدد الأول منها في ٣ فبراير عام ١٨٦٢ وكان يوزعها في القطار .

وكان قد سمع أن جريدة تصدر في ديترويت تعرض للبيع كمية من حروف الطباعة بثمان بخص فاشترى تلك الحروف وأنشأ مطبعة صغيرة في جوار معمله الكيميائي بعربة البضاعة في القطار . وكان يطبعها على وجه واحد وطولها ٤٠ سم وعرضها ٣٠ سم وتنشر الأخبار التي ترد لتلغرافيا على اديسون من المحطات التي يقف فيها القطار كما كان ينشر فيها عناوين الفنادق التي ينزل فيها الزلاء ، والأشياء المفقودة من الركاب ونحو ذلك من أمور تفيد جمهور المسافرين .

وبشأن سوء الطالع ان تسقط إحدى قوارير المواد الكيميائية في معمل اديسون فتحدث حريقا في عربة السكة الحديد التي أقام فيها معمله ومطبعته فأغاظ ذلك مقتش القطار فأقبل على اديسون وقذف بمطبعته وأدوات معمله من العربة وانهار عليه ضربا مبرحا حتى أصابه في وجهه إصابة عنيفة ، بل لقد أحدثت الضربة عاهة مستديمة في أذنه اليسرى اذ فقدت قوة السمع ولم يجد العلاج .

تنقص هذه الحادثة من شغفه بالصحافة فأصدر بعد بضعة شهور جريدة صغيرة في «بورت هيورن» سماها «بول الفضولي» . وكان ينشر فيها الأخبار المثيرة ، والانتقادات اللاذعة المريرة ، مما أوغر صدور كثير من الناس فاشتد حقدهم عليه وازداد ضيقهم به ، وتوعده أحد أصحاب هذه الانتقادات وانتظره على قنطرة بلدة «ثيرون» وأمسك بتلابيبه وما زال يضيق عليه الخناق حتى حمله بين ذراعيه ثم ألقى به في الماء . غير أن اديسون كان يحسن السباحة فاستطاع أن ينقذ نفسه من الغرق وينجو من موت محقق . فحمله هذا الدرس القاسي على هجرة الصحافة والاشتغال بحرفة أخرى وكانت هي حرفة التلغراف الذي تفوق فيه تفوقا عظيما .

وحدثت لاديسون في مدينة «بورت هيورن» حادثة أخرى أنسته تلك المعركة القاسية التي اشتبك فيها مع أحد خصومه وخرج منها نائبا من الصحافة بعد ان سقط في نهر «سان كلير» . وهي أن السلك التلغرافي الذي كان يصل بلدة هيورن ببلدة «سارنيا» قد انقطع ، وكان يمر فوق بحيرة هيورن ولم يتيسر اصلاحه على عجل فركب اديسون إحدى قاطرات السكة الحديدية الى قرب بحيرة هيورن ، ثم بدأ يرسل من صفارة القطار اشارات على طريقة «مورس» التلغرافية يدعو فيها عامل التلغراف في سارنيا الى محادثته تلغرافيا ، وما لبث العامل ان أدرك سر الاشارات وجعل يتلقى من اديسون الرسائل التلغرافية بتلك الطريقة الى أن تم اصلاح الاسلاك التلغرافية بين البلدين .

والحق اديسون بوظيفة عامل تلغراف في مدينة «بوسطن» فترة من الوقت ، غير انه استقال من هذه الوظيفة ليتفرغ لأبحاثه العلمية . ولكن موارده المالية نضبت فاضطر

الى السفر الى نيويورك وهناك طلب العمل في إحدى الشركات التلغرافية . وتصادف أن جهاز التلغراف في الشركة كسر أثناء وجوده في غرفة الاشارات التلغرافية فلم يستطع أحد سواه أن يصلحه ، وكان ذلك أكبر برهان يقدمه للشركة على براعته وتفوقه فعين مفتشا بمرتب ٣٠٠ ريال في الشهر . غير انه لم يلبث ان استقال واشترك مع «فرانكلين بوب» في اختراع بعض الأدوات الكهربائية وقد قبض اديسون في عام ١٨٧٠ مبلغ ٤٠ ألف ريال وكان هذا أول مبلغ كسبه من اختراعاته .

وظل اديسون يعمل في اختراعات متعددة . وفي عام ١٨٧١ ساعد شولز مخترع الآلة الكاتبة على صنع أول آلة عملية منها ، ثم اخترع عدة أجهزة تلغرافية مختلفة ساعد بها على تقديم التلغراف واتساع نطاقه . ومن المخترعات التي أتمها في «منلو بارك» الفونوغراف والمصباح الكهربائي والترام والسينما الناطقة .

أما المصباح الكهربائي فقد اخترعه عام ١٨٧٩ واستمر أول مصباح كهربائي صناعه مشتعلا مدة أربعين ساعة وبذا أثبت نجاحه ثم جعل يحسنه حتى وصل الى شكله الحاضر ، وكان اديسون يعلم أن المصابيح الكهربائية لا يمكن تصميمها الا اذا أنشئت محطة كهربائية مركزية وكذلك عمل دائما على انشائها فقامت في عام ١٨٨٣ في مدينة «سنوري» .

اديسون في حديث له مع إحدى الصحف الأمريكية حين وجهت اليه سوآلا بخصوص المصباح الكهربائي : «لقد جربنا مواد عديدة منها البلاتين ومنها معادن ثمينة أخرى وقد صنعنا من تلك المواد المصابيح التي تشتعل بشكل يدعو الى الرضا ولكننا رأيناها غير صالحة من الوجهة التجارية لعظم ارتفاع

تكاليفها . وبعد تجارب عديدة أمكنني أن أكرين - مشتقة من الكربون - خيطا من القطن في فراغ من الهواء . ولكن على الرغم من نجاحي في ذلك ، رأيت أن خيط القطن ليس هو الموصل المطلوب . وأخيرا توصلت في عام ١٨٨٠ الى صنع ذلك الموصل من الألياف . وقد أرسلت رجالا الى امريكا الجنوبية ، وجزر الهند الغربية ، والشرق الأقصى ، ليأتوني بأحسن نوع منها . وكنت قد أجريت عدة تجارب حتى وصلت الى أكبر قدر من الفراغ علما بأن الاحتراق الى درجة البياض هو أساس المصابيح الكهربائية التي أردت صنعها .

وقد خرج اديسون من ذلك الى اختراع وسائل لاستمداد القوة والحرارة من الكهرباء بعد أن استمد منها الضوء . وفي عام ١٨٨٨ أسس أول مصنع للمصابيح الكهربائية في هاريسون . ولو اننا أردنا أن نقدم للقراء نبشا بالسنوات الخصبة في حياة توماس اديسون لسردنا ما يلي : في عام ١٨٤٧ ولد توماس ألفا اديسون ، وفي عام ١٨٥٩ ابتداء يعمل ليكسب قوت يومه ، وفي عام ١٨٦٢ أصدر جريدة ويكلي هيرالد ، وفي عام ١٨٦٣ عين في وظيفة عامل تلغراف ، وفي عام ١٨٦٨ سجل أول اختراع له وهو مسجل الصوت الكهربائي ، وفي عام ١٨٧١ ساعد شولز مخترع الآلة الكاتبة في مهمته ، وفي عام ١٨٧٧ اخترع الفونوغراف ، وفي عام ١٨٧٩ اخترع المصباح الكهربائي ، وفي عام ١٨٨٠ - ١٨٨٢ اخترع الدينامو الكهربائي وأول سكة حديد كهربائية ، وفي عام ١٨٨٣ أنشأ أول محطة مركزية للكهرباء لتعميم المصابيح الكهربائية ، وفي عام ١٨٨١ - ١٨٨٧ اخترع التلغراف اللاسلكي بين القطارات أو المحطات ، وفي عام ١٨٩١ اخترع كاميرا الصور المتحركة ،

وفي عام ١٩٠٠ - ١٩٠٢ اخترع بطارية اديسون المشهورة وأنشأ مصنعا للأسمدة في « بورتلاند » ، وابتكر وسائل جديدة لصنع الاسمنت ، وفي عام ١٩٠٣ اخترع وسائل لتحسين اسطوانات الفونوغراف ، وفي عام ١٩١٢ اخترع السينما الناطقة ، وفي عام ١٩٢٠ بلغت مخترعاته الألف ، في عام ١٩٣١ مات توماس ألفا اديسون عن عمر ناهز الرابعة والثمانين .

وهكذا أخرج اديسون للانسانية هذه المخترعات العديدة التي أنفق فيها حياته كلها ، وكان مشغولا بعمله الى حد الهوس . وقاده تفكيره في احدى المرات الى أن يقول أن النوم غير ضروري وإن الانسان يجب أن يقنع بساعتين فقط كل يوم . ولم يكن الباعث على هذا التفكير الا حبه للاختراع وانكبابه عليه . فكان يعمل أشهرا وهو يشتغل ٢٠ ساعة في اليوم ولا يأكل الا أقل الكميات من الطعام وأخيرا كف عن هذا العمل عندما رأى نفسه ينام على مكتبه ، وكان عماله يتركونه به عدة ساعات ولا يوقظونه حتى رجع عن خطته وخفف من غلوائه .

وقد وصف اديسون طريقته في الاختراع فقال « ان طريقي شبيهة بطريقة « بوربانك » فهو يزرع فداناً من الأرض فاذا ازدهر يسير بين شجيراته وهو ينظر فيها بعين ناقدة فينتقي من بين آلاف الشجيرات التي أمامه واحدة يتوسم فيها تحقيق غايته . ثم يحتفظ بها حتى يعقد بذرها ويستعمل بعد ذلك ذكاه وخبرته في الاستكثار منها حتى ينتج منها سلالة راقية . وعندما يحتاج الأمر الى اجراء تجارب كيمياوية فاني أقوم بمئات بل آلاف من هذه التجارب التي ربما تنتج لي تجربة واحدة أتوسم فيها النجاح ، وعندئذ أتابع هذه التجربة حتى أبلغ نهايتها الممكنة وأترك سائر التجارب الأخرى .

ولما كانت الولايات المتحدة الأمريكية من أعظم الدول التي تستخدم الكاوتشوك أو المطاط لكثرة ما بها من سيارات فضلا عن ان العالم قد تهدده الحرب في وقت من الأوقات فتنقطع الدول الأوروبية عن مصادر المطاط ، لذلك فكر اديسون مع هنري فورد وصديق ثالث في درء هذا الخطر وصرح بهذه المخاوف الى أحد الصحفيين الأمريكيين وقال انه اهتدى الى شجرة يمكن زرعها في الولايات المتحدة لاستخراج هذه المادة .

وقد قام اديسون ببحوثه في هذا الميدان وهو في الحادية والثمانين من عمره وهدفه من ذلك زراعة شجرة المطاط في الولايات المتحدة الأمريكية بعد ان كانت تنبت في البرازيل وجزر الملايو والهند الصينية فقط وهي اصقاع كانت تابعة لبعض الدول الأوروبية .

هذا وقد تزوج اديسون من الآنسة « منيا ميد » وهي ابنة أحد رجال الصناعة واشترى ضيعة على مقربة من معمله تبلغ مساحتها نحو ثلاثة عشر فداناً بنى فيها بيتاً أنيقاً جميلاً تحيطه البساتين الفيحاء والرياض الغناء .

وهناك ولد له أبنائه الثلاثة « مدلين » و « شارلز » و « تيودور » ، وفي هذا البيت الأنيق مجموعة من الهدايا الرائعة التي وصلت الى اديسون من الملوك والرؤساء وكبريات الشركات والمؤسسات ومن هذه الهدايا وسام « البرنس البرت الذهبي » الذي قدمته اليه جمعية الفنون في لندن عام ١٨٩٢ والطبقات الثلاث من أوسمة « اللجيون دونور » وتمائيل من الرخام أهداها اليه قيصر روسيا وأوسمة شتى من معاهد وجامعات نيويورك وبوسطن .

وفي يوم ١٨ أكتوبر عام ١٩٣١ ودع اديسون الحياة ، وانطفأ ضوء حياته وطوته الظلمات بعد ان ترك الحياة الانسانية مضيئة مشرقة الجنبات .

اليه لم يعد هو ذلك الشخص الذي كنت تعرفه ، بل لقد أصبح هو نفسه شخصا آخر ، فوصل خطابك الى ذات أخرى تختلف — ان في كثير أو قليل — عن تلك الذات التي كنت تعهدها ، ولا غرابة بعد ذلك في أن ترد اليك منه رسالة أخرى غير تلك التي كنت تنتظرها !

فأفكر ما انتقلنا الآن الى مشكلة الصدق والأمانة في عملية الكتابة وجدنا أن الرسالة بطبيعتها ، قلما تخلو من عناصر تزييف أو نقص . وإذا كان الفيلسوف الألماني هيدجر (Heidegger) قد استطاع أن يقول « انني عين ما أقول » فقد لا يكون في وسعنا أن نقول : « انني عين ما أكتب » ! والحق أن ما أكتبه مهما بدا لي معبرا عما أريد قوله قلما يجيء معبرا تماما عن صميم شخصيتي ، أو هو قلما يجيء مكافئا تماما لما أريده في قرارة نفسي . والسبب في ذلك أن الكتابة عملية اصطلاحية لا تخلو عن تكلف وافتعال . في حين أن الكلام فعل طبيعي يتسم بالعفوية والتلقائية . وأنا حين أفهم عبارة محدثي ، فأنني في الحقيقة انما اندمج في الموقف الذي أجد فيه ذلك الشخص ، وبالتالي فأنني أفهم ما يريد أن يقوله ، ابتداء من تلك الوسائط الخاصة التي يتخذ منها أدوات أو وسائل لتحقيق غايته أو أهدافه . ومعنى هذا أن من شأن اللغة المقولة دائما أن تكون قابلة للفهم ، لأن رموزها تفك ابتداء من الموقف نفسه . وأنا اذا كنت أفهم كلام محدثي ، فذلك لأنني على علم بالموقف الذي يكتنفه ، بحيث انني حينما أستمع الى حديثه ، فكأنني أتكلم معه . وأما حينما نكون بصدد رسالة مكتوبة فان الموقف الذي أحاط بالشخص عند كتابتها يظل خافيا عنا وبالتالي فاننا قلما نتمكن من فك رموز حديثه . وأخيرا قد يكون من الطريف للباحث السيكلوجي أن يعمد الى دراسة طائفة خاصة من الخطابات ، ألا وهي « الخطابات الغرامية » . وهنا نجد أنفسنا بازاء نوع خاص من الرسائل ، لأن رسائل الحب في العادة رسائل عميقة رقيقة تعبّر عن نفسيات

أصحابها على أحسن وجه . وإذا كان من شأن اللغة أن تدخل عادة في صميم بناء الحب ، فما ذلك الا لأن « الاغراء » نفسه كثيرا ما يتخذ طابعا لغويا !! ومع ذلك فقد فطن المحبون الى نقص اللغة ، فكانوا يكتبون أحيانا بدمائهم (بدلا من المداد) ، وكأنما هم كانوا يشعرون بأنه لا بد للحب من لغة خاصة غير لغة المداد والقلم . وقد حدثنا الفيلسوف الأندلسي ابن حزم عن رسائل العشاق بالتفصيل في كتابه المشهور « طوق الحمامة في الألفة والألاف » ، فكتب يقول : « وينبغي أن يكون شكل الكتاب أنطف الأشكال ، وجنسه أملح الأجناس . ولعمري ان الكتاب للسان في بعض الأحيان ، أما لخصر في الانسان ، وأما لحياء وأما لهيبة . نعم ، حتى ان لوصول الكتاب الى المحبوب ، وعلم المحب انه قد وقع بيده ورآه ، للذة يجدها المحب عجيبة تقوم مقام الرؤية . وان لرد الجواب والنظر اليه سرورا يعدل اللقاء ، ولهذا كثيرا ما ترى العاشق يضع الكتاب على عينيه وقلبه ويعانقه . ولعهدي ببعض أهل المحبة ، ممن كان يدري ما يقول ويحسن الوصف ، ويعبر عما في ضميره بلسانه عبارة جيدة ، ويجيد النظر ، ويدقق في الحقائق ، لا يدع المراسلة وهو ممكن الوصول قريب الدار ، أتني المزار ، ويحكى أنها من وجوه الذة ... وأما سقي الخبر بالدمع فأعرف من كان يفعل ذلك ، ويقارضه محبوبه بسقي الخبر بالريق ... ولقد رأيت كتاب المحب الى محبوبه ، وقد قطع في يده بسكين له ، فسال الدم واستمد منه وكتب به الكتاب أجمع . » (طوق الحمامة » ، طبعة القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٣٣ — ٣٤) . وكثيرا ما يعمد بعض المحبين الى تعطير خطاباتهم برائحة خاصة تعبّر عنهم ، لأنهم يشعرون بأن هذا العطر الخاص قد ينقل الى المحبوب بعضا من ذات المحب ، فيحمل اليه ما قصّرت الألفاظ عن التعبير عنه ! هذا الى أن بعض العشاق كان يستخدم في رسائله الغرامية ألوانا متعددة من المداد ، وكأنما هو كان يرى في اختلاف ألوان المداد تعبيرا عن اختلاف ألوان العاطفة التي يجيش بها صدره !

رسالة عن مضمون الخطابات الغرامية فإن الملاحظ في العادة انه لا يقتصر على وصف العاطفة التي يكتنّها كل عاشق لمعشوقه ، بل هو قد يدور في بعض الأحيان حول بعض التفاصيل الصغيرة أو الجزئيات الدقيقة التي يحرص كل من الطرفين على تبليغها للآخر ، معلقا عليها أهمية كبرى . ولا غرو ، فان الرسالة الغرامية هي بطبيعتها رسالة خاصة تحمل طابع الرمز ، نظرا لما بين العاشقين من تجاوب نفسي يجعل من رسائلهما لغة خاصة هيهات لأحد أن يفهم معناها على وجه الدقة . ولعلّ هذا هو السبب في أن معظم المحبين لا يميلون في الغالب الى اطلاع الآخرين على رسائلهم ، لأنهم يشعرون بأن هذه الرسائل لن تلقى من الآخرين سوى السخرية والازدراء ! ولكنّ الخطاب الغرامي مع ذلك أقدر أنواع الرسائل على التعبير عن الذات ، لأنه خطاب يتخذ طابع الحديث السري الذي يدور بين شخصين ، فهو أقرب ما يكون الى « شفرة » هيهات لأي غريب أن يفك رموزها ! وقد لا يستطيع الشخص العادي أن يفهم لغة المحبين . ولكن العاشق الذي يروي لمعشوقه بعض التوافه الصغيرة ، يعرف مقدما دلالة هذه التوافه في نظر معشوقه ، فهو يكتب اليه بلغة خاصة يعرف أنها أقدر من غيرها على الكشف عن ذاتيته العميقة ! وقد يكتب المحب لمحبوبه آلاف الخطابات ، أو قد يردّد على مسامعه نفس الكلمات ، ولكن كل رسالة من رسائله لا بد من أن تجيء حاملة مضمونها الخاص في نظر ذلك الذي يعرف كيف يقرأ ما بين سطورها ! ولا يتسع المقام هنا لتحليل رسائل الغرام ، وانما حسبنا أن نقول أن الباحث السيكلوجي الذي يريد الوقوف على الدوافع الشعورية واللاشعورية لعملية « التراسل » يجد في الرسائل الغرامية مادة خصبة لهذه الدراسة . وهل كانت رسائل العشاق الا جزءا من سيرهم الذاتية ، تلك السير التي وصفها جوتيه (Goethe) فقال انها « شعر وحقيقة » ؟! فهل من عجب في أن تجيء رسائلهم على صورة أشخاصهم أعمالا فنية هي مزيج من الواقع والخيال ؟!

صَفَحاتٌ مِنْ بَيْتِ السَّلَاحِ الْمَسْئَلَةِ الْعَرَبِيَّةِ

لعبت المرأة منذ فجر التاريخ دوراً مهماً في بناء المجتمعات الإنسانية ، فقد كانت وراء الرجل في كثير من الأحداث تشد أزره وتدفعه الى مواطن المجد والى ميادين البطولة ، وتقوم على رعايته وتهيته تهيئة صالحة ليكون عضواً فعالاً في مجتمعه . وقد عاشت الى جانبه منذ عهد الإنسانية الأولى فشاركته في أفراح الحياة وأتراحها . وتاريخ الأمة العربية حافل بما للمرأة من مآثر حميدة في ميادين البطولة والأدب والشعر . لقد كانت المرأة مهضومة الحقوق في عصر الجاهلية ينظر اليها نظرة ازدراء حتى انها كثيراً ما كانت تؤاد حية منذ ولادتها « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون . » (صدق الله العظيم) ، إلا أن الاسلام قد جاء بسماحته وانصافه وقضى على تلك العادات المنافية للحق ، وبين ما لها وما عليها . « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً . » (صدق الله العظيم) ، ورفع من قيمتها في المجتمع الى الدرجة التي تستحقها . وقد حث القرآن الكريم على انصافها واعلاء شأنها ومعاملتها بالرفق واللين « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنئلاً مريئاً . » (صدق الله العظيم) .

لم في عصر الاسلام اسماء نساء كثيرات سجل لمن التاريخ مآثر حميدة في حقول العلم والمعرفة . ومن اللواتي لمع نجمهن في أوائل الاسلام خديجة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم . فهي أول من استجاب لدعوة الاسلام ودعا اليه وأعان صاحب الرسالة بالنفس والمال . وقد كان رسول الله (ص) يجلبها ويقدرها حق قدرها ثم كان يذكرها بعد موتها كثيراً ولم يسأم من الثناء عليها حتى غارت زوجته السيدة عائشة وقالت له ذات يوم : « لقد عوضك الله عن كبيرة

السن . » فغضب رسول الله (ص) من كلامها غضباً عظيماً حتى أسقطت في جلدائها ثم قال لها : لا والله ما أبدلني الله خيراً منها ، آمنت بي اذ كفر بي الناس ، وصدقتني اذ كذبني الناس ، وآستني في ما لها اذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها أولاداً اذ حرمني النساء . قالت عائشة « فقلت في نفسي لا أذكرها بسيرة أبداً . » وقد توفيت خديجة ساعد رسول الله (ص) بعد بث الدعوة ثلاث سنوات . فكانت وفاتها مصيبة عظيمة على النبي (ص) تبعها مصائب وكوارث مماثلة تحملها بصبر ورباطة جأش . وما امتازت به خديجة فان لعائشة ما يقابله . فقد كانت عائشة من أبرز النساء اللائي لمع نجمهن في دنيا المعرفة اذ كانت امرأة فاضلة ناجحة ملمة بأمور الدين ، واسعة الاطلاع ، حتى اعتبرت مرجعاً لرجال الدين والعلماء يستشيرونها في عويص الأمور فتجييبهم الأجوبة المنطقية المدعومة بالحجة والبرهان . وقد عرف عنها انها كانت من أبرع الناس حفظاً للقرآن الكريم . والحديث الشريف والفقه ، والشريعة ، وأكثرهم إماماً بالشعر وأحاديث العرب وأخبارهم وأنسابهم . كل ذلك جعل منها محدثة لبقة فصيحة اللسان بليغة المقال ، اذا تحدثت ملكت على الناس مسامعهم وأخذت بمجامع قلوبهم . وقد كانت كثيرة التبع والتعهد والصيام حتى قيل أنها كانت تصوم صيام الدهر ولا تفطر الا يومي الفطر والأضحى .

وها هي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وزوج الزبير بن العوام ، التي كانت تحمل الطعام الى رسول الله في الغار حتى انها سميت بذات النطاقين لأنها شقت زيارها قطعتين لتحمل قربة الماء وكيس الخبز الى الرسول وأبي بكر عند الهجرة . وقد كانت ذات جود وكرم ، وعزيمة ماضية ونفس عزيزة وشجاعة نادرة . ولعل أكبر مثال على شجاعتها حوارها مع ابنها عبد الله ابن الزبير لما دخل عليها وهي عمياء وقد بلغت من العمر مائة عام اذ قال لها : يا أماء ما ترين ، وقد خذلني الناس وخذلني

أهل بيتي ؟ فقالت له : « لا يلعبن بك صبيان بني أمية ، عش كريماً وميت كريماً » . قال : « ان هذا قد أمني » قالت : « يا بني لا ترض الدنيا فان الموت لا بد منه . » فرد عليها قائلاً : « اني أخاف أن يمثل بي » ، فأجابته بقولها المشهور : « ان الكباش اذا ذبح لا يخاف السلخ » . فخرج الى ساحة القتال وظل يناضل ويقاتل حتى قتل . وقد تحملت مصيبة قتل ابنها بشجاعة نادرة كما تحملت من قبل نبأ مقتل زوجها الزبير في موقعة الجمل .

فمن بين نساء العرب الشهيرات اللواتي كان هن أثر كبير في حقل الأدب ، الخنساء (تماضر بنت عمرو السليمية) وقد اتصف شعرها بالجزالة والمثانة وحسن السبك كما اعتبرت من أشعر شعراء عصرها ولا سيما بالرناء . والشاعرات اللائي برزن في وصف أحزانهن كثيرات الا أنهن في الغالب لم يبلغن ما بلغته الخنساء ، خاصة في رثاء أخيها صخر فقد قالت :

يؤزقي التذكر حين أمسي
ويردعني مع الأحزان نكسي
على صخر وأي فتى كصخر
ليوم كريمة وطعان حلس

ومن أجمل أقوالها :
أعيني جوداً ولا تجمداً
الا تبكيان لصخر الندي
الا تبكيان الحسام الدفين

فهي من الشاعرات المخضرمات وقد نال شعرها اعجاب الرسول (ص) حتى انه كان يستنشدتها ويقول « هيه يا خناس » . وبالإضافة الى نبوغها في الشعر فهي تتحلّى بصفات الشجاعة العربية النادرة ، والصبر على الملمات . فقد حضرت حرب القادسية وبصحبته أبناؤها الأربعة وخاطبتهم بقولها المشهور « يا بني اسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، وتعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل . واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية . » فخرج

بنوها قابلين لنصحها فقاتلوا حتى قتلوا . وحينما بلغها الخبر قالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم » . وقد توفيت في أول خلافة عثمان سنة ٥٢٤ هـ .

هند

وقد كان في هذا العصر كثير من فضليات المسلمات اللاتي حملن لواء النهضة الثقافية في ميداني الدين والأدب . وخلصن للأجيال الناشئة بعدهن تراثا أدبيا حيا أبقي ذكرهن على مر العصور .

وقد ظهرت قيمة المرأة بأجل مظاهرها في أيام الدولة العباسية فأحرزت نفوذا واسعا وأثرت في الدولة تأثيرا كبيرا . وقد اشتهرت في ذلك العصر زبيدة زوج الرشيد . وهي سيدة جليلة ذات يد طول في الحضارة . والعمران ، والعلم والأدب ، ومن ذوات العقل ، والرأي والفصاحة ، والبلاغة . وكانت زبيدة كاتبة لبقة وقعت مرة في ظهر كتاب ورد إليها من أحد عمالها « أن أصلح كتابك والا صرفناك عن عملك » . فتأمله ذلك العامل فلم يظهر له فيه شيء فعرضه على بعض أخوانه فرأى فيه الدعاء لها « وأدام كرامتك » فقال : انها تخيلت انك دعوت عليها فان كرامة النساء دفنهن . فغير الكاتب هذا الدعاء وأعاد الكتاب إليها فقبلته . وقد شمل عطف زبيدة الفقراء والمساكين . وكان لها مائة جارية يحفظن القرآن . وكان على كل واحدة منهن ثلاثة عشر من آي الذكر الحكيم . أما الآثار الجليلة التي خلفتها زبيدة وانتفع بها العالم العربي خير انتفاع فهي كثيرة جدا . منها انها سقت أهل مكة الماء بعد ان كانت الراوية بدينار ، وأسالت الماء الى مكة من مسافة ١٦ كيلومترا ، ومهدت الطريق لمائها في كل خفض ورفع وسهل وجبل . وقد عرفت هذه العين قديما بعين « الشماش » ومعروفة الآن بـ « عين زبيدة » . وينسب إليها أيضا مسجد زبيدة ببغداد الذي اندرس عام ١١٩٥ هـ ، ولم يبق منه سوى قبرها وعليه قبة مخروطية الشكل تعتبر من نوادر الفن العماري . وزبيدة هي أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجواهر . وهي أول من اتخذ القباب من الفضة والابنوس والصندل وكلاليهما من الفضة ملبسة بالوشي والسمور والديباج وأنواع الحرير المختلف الألوان مما يدل على الثروة الهائلة في عصرها ومدى اتساع رقعة الدولة الاسلامية آنذاك .

وقد اغتمت زبيدة غما عظيما حينما فكر الرشيد أن يوصي بالبيعة لابنه المأمون دون ابنها الأمين فجعلت تهيء له كل العوامل التي تعتقد

بأنها ستبلغ به الى عرش الخلافة حتى جعلت الرشيد يعهد اليه بدلا من المأمون . وما يدل على ذكائها وفطنتها ودرايتها وحكمتها انه بعد القتال الذي جرى بين الأخوين حول الخلافة والذي أودى بحياة ابنها الأمين أرسلت للمأمون قصيدة من شعر أبي العتاهية جاء فيها :

وقلت لربيب الدهر أن هلكت يد

فقد بقيت والحمد لله في يد
وحيثما قرأها المأمون أجش بالبكاء متأثرا بما تضمنته من معان محزنة . فرد عليها معتذرا لها عن مقتل أخيه . ثم قالت له : ولئن كنت قد فقدت ابنا خليفة ، فلقد عوضت بابن خليفة لم ألدّه وما خسر من اعتاض ولا ثكلت أم ملأت يدها منك . فأخذ المأمون يزيد في تكريمها وتقديرها وجعلها في ظلّه ورعايته .

وشجرة الدر هي أول امرأة مسلمة تتسلم زمام الملك ، وهي من اللواتي كانت لهن اليد الطولى في رفع راية الاسلام والمساهمة في ادارة شؤون الدولة وأمور الحكم ، لما كانت تتسم به من الحصافة والتدبير ورجاحة العقل والدهاء والرزانة . وقد بلغ من سلطانها ان أطلقت سراح الملك فرنسيس ملك الافرنج ، بعد مراسلات كثيرة اشترطت عليه فيها تسليم دمياط للمسلمين فسلمها بعد أن ظلت بيده احد عشر شهرا وتسعة أيام ، ولما مات زوجها الملك الصالح ، كتمت الخبر حتى أخذت العهد لثوران شاه ابن الملك الصالح ، ثم باشرت الحكم وأخذت توقع باسمها مراسيم الدولة ، وبالتالي تولت السلطة فكان يخطب باسمها في أيام الجمع على منابر مصر والشام اذ كان الخطباء يقولون بعد الدعاء : « واحفظ اللهم الصالحة ملكة المسلمين ذات الحجاب الجميل والستر الجليل » . وبلغ من نفوذها ان ضربت العملة باسمها . وحينما سمع الخليفة المستنصر في بغداد عما كان من أمر شجرة الدر ، أرسل لأمرأ مصر يقول لهم : « اعلّمونا ان كان لم يبق عندكم رجال يصلحون للسلطة فنرسل لكم » . فلما بلغ شجرة الدر ذلك خلعت نفسها عن العرش برضاها بعد ان حكمت مصر ثلاثة أشهر ، ثم ولت من بعدها عز الدين ايبك الذي تزوجته وأخذت تدير دفة الحكم باسمه ، فكان لا بيت في أمر الا بمشورتها . وكانت شجرة الدر من ذوات البر والاحسان فأوقفت مدرسة عرفت باسمها وحماما عرف باسم حمام الست بمصر . ولها مآثر كثيرة على وجوه البر والاحسان معروفة بها .

وعلاوة على ذلك فانا نجد المرأة العربية في العصر الاسلامي قد أحرزت نشاطات شتى في جميع المجالات . فكانت مشهورة بالعفة والأففة ، وسداد الرأي ورجحان العقل ، فكان علمها غزيرا وفضلها عظيما وتأثيرها في الدولة كبيرا .

العصر العباسي مر العالم العربي بفترة طويلة من الركود والضعف والتأخر في مختلف ميادين نشاطه ، فكان لا بد أن يؤثر ذلك على نشاط المرأة أيضا . لكن ما ان بدأت بوكير النهضة العربية الحديثة تظهر حتى بدأ نجم المرأة العربية يسطع من جديد في مختلف ميادين الفكر والآداب . وما النهضة النسوية المشهودة في عالمنا اليوم والتي أدت الى خوضها بنجاح في ميادين البحث العلمية والفكرية والصناعية والفنون والآداب ، الا ثمرة ذلك الجهاد المتواصل الذي خاضته الرائدات من النساء فرفعن لواء المرأة عاليا في بلادنا .

وان أنس لا أنسى الأدبية التي ذاع صيتها في العالم العربي وتجاوزته الى ما وراء البحار ، والتي كان صالونها المشهور مجمع أدباء عصرها ومتدى نشاطهم الأدبي ، تلك هي الآمنة « مي زيادة » التي كان لانتاجها أثر كبير في تراثنا الأدبي لما كان لها من مؤلفات أدبية قيمة . ولم يقتصر نشاطها الثقافي على اللغة العربية فحسب بل تعداها الى اللغة الفرنسية ، فظهرت لها عدة كتب ومؤلفات ، كما دبت لها مقالات عديدة في أمهات الصحف الباريسية لاقت كثيرا من الاعجاب والاستحسان .

لجئنا اليوم لنحصى ما للمرأة من نشاطات واسعة في المجتمع لفصاح بنا المجال . فهي تواكب الرجل في شتى الميادين الفكرية والعلمية والثقافية مثبتة انها كفء لتحمل أعباء المهام الكثيرة المسندة إليها . ولا يخفى على المدرك البصير ما للمرأة من نشاط في الميادين الاجتماعية ، فقد أنشأت الجمعيات الخيرية . كمرعاية الطفولة والأمومة ، ومواساة المرضى وإسعاف الجرحى والمصابين ، وجمعيات الهلال الأحمر خير شاهد على ذلك . ولا يتسع المجال هنا لنذكر نشاط الكثيرات ممن ساهمن في دفع عجلة تقدم المرأة العربية واعلاء شأنها بوجه عام حتى أصبحت تشارك الرجل في كل مجال مستطاع غايتها اسداء الخير ضمن تعاليم الدين واحلال السعادة والسلام .

اعداد فريال قطان

لقاء مع الأمل

قصة قصيرة

فلم الأستاذ إبراهيم المصري



بعد في وسع عبد الرحمن أن يحتمل...! العالم أصبح ضيقاً كصدره . حالكا كحظه ، عابسا متجهما كالحسرة المرة التي يحملها بين جنبيه ...! أين شبابه الزاهر ، وحسنه الباهر ، وما كان يضطرم في قلبه من فرح زاهر بالحياة ؟... لقد هزل بدنه ، وجف عوده . وامتصت عصارته . وأمسى اليوم كهلا متداعيا وهو بعد لم يجاوز الخمسين . ! ربيع قرن ... خمس وعشرون سنة كاملة تصرمت من حياته في شر ذل وأقسى عذاب ...! لماذا تزوج ... لماذا اقترن « بفكرية » ... لماذا باع شبابه لتلك المرأة العاتية الغليظة التي لا قلب لها . !؟

كان رجلا فقيرا ، كان موظفا متوسطا ، وكان مع ذلك قانعا وسعيدا . ولكنه أراد أن يعيش كأبناء الذوات . أن يتمتع بأسباب الترف واللوان النعيم . فأذل قلبه . وامتنع كرامته . وأسلم نفسه طائعا مختارا لتلك المرأة الثرية التي استحوذت عليه وأنشبت مخالبها فيه . لشد ما قاسى من غيرتها . وكبريائها . وتسلطها ، واستخفافها به كلما حاول أن يثبت أمامها ، أو هم بالثورة عليها ، أو هدها بالفطية أو الطلاق . أجل فكر في الطلاق أكثر من مرة ، بل صمم عليه يوما تصميمًا قاطعا وسعى الى تنفيذه . ولكنه في اللحظة الأخيرة أحجم وتراجع . لم يتراجع تحت تأثير المال والجاه وشتى المنافع التي كانت تغدقها عليه امرأته . كل تلك المغريات كان قد زهد فيها ، وعافتها نفسه . بل أصبحت على مر الزمن قذى في عينه ، ومرارة في صدره ، ووصمة خفية يتمزق بها في صميم كيانه !

ان ما حال بينه وبين الطلاق كان ولده .. ولده محسن . ولده الوحيد الذي أحبه عبد الرحمن كما لم يحب أي انسان ، والذي لم يستطع أن يتصور لحظة أن في مقدوره أن يفصل عنه ويتركه في حضانة أمه التي قد تقتن برجل آخر لا بد له أن يكره الطفل البريء فينشأ معذبا مهينا أو ثائرا متمردا ...! هذا ما خشيه عبد الرحمن ، وهذا ما جعله يصبر على غلظة امرأته وتسلطها واستبدادها رغم محاولاته الباطلة لتهذيبها وتقويم طباعها . أما الآن فلم يعد في وسعه أن يحتمل ، اذ المسألة لا تتعلق به بل بمستقبل ولده وسعادته . لقد تفوق محسن في دراسته الجامعية ، وأحرز شهادة عالية . وفاز بمنصب مرموق ، وهو يريد اليوم أن يتزوج . ولكن أمه الجبارة العاتية ، أمه المعترية بجاهها

ومالها ، أمه التي دمرت حياة عبد الرحمن ، تأبى إلا أن تدمر أيضا حياة ابنها وتزوجه بفتاة هي صورة مطابقة لها . فتاة ثرية مثلها ، ومثلها أيضا مزهوة وغليظة ومستكبرة وعاتية . فكيف يمكن أن يرضى عبد الرحمن لابنه العزيز الوحيد أن يشقى كما شقى هو ، وأن يلاقى في حياته الزوجية ما لاقاه هو ، وأن يعيش قرب امرأة تتعالى عليه ، وتستبد به ، وتخدم حريته ، وتخنق فيه كل خاصة سامية نبيلة تمتاز بها شخصيته ؟ ... لا ... لن يتم هذا الزواج ! لن تتكرر مأساة الوالد في الولد ! .. ان السعادة التي أفلتت من عبد الرحمن ، السعادة التي لم تكن من نصيبه يجب أن تكون في الغد من نصيب ولده . سعادة القلب ، سعادة الروح ، توافق الوجدان والفكر . تألف الخلق والطبع ، تجانس الميول والرغبات . هذه هي السعادة الزوجية التي ينشدها عبد الرحمن لمحسن ، اذ هي التي تصون النفس وترتفع بها . أما التكالب على المال فهو الذي ينحط بالنفس ويهلكها . فاذا قدر لعبد الرحمن أن يحقق هذه السعادة لولده فانه سيجد في سعادة هذا الولد الحبيب الغالي راحة لنفسه ، وعزاء لقلبه ، وبلسما لجراحه .

طاف

هذه الخواطر بذهن الرجل وهو يروح ويغدو في حجرة مكتبه ، ذاكرا ما قاله له ولده منذ أيام من أنه قد اعتزم أن يخطب الفتاة التي اختارتها له أمه ، مستجيبا لرغبة تلك الأم ، خاضعا لارادتها . متأثرا بما لوحته له به من ثراء الفتاة ووجاهة مركزها الاجتماعي ونفوذ والدها . ولقد لمح عبد الرحمن في عين ولده نفس بارقة الطمع والزهو التي شعت من عينه هو عندما وقع اختياره على زوجته فكرية . فسلطان المال الذي حطم حياته بالأمس على وشك أن يخيم اليوم على بصر ولده ويحطم حياته أيضا .

وارتعش الرجل وتصور ابنه فريسة لتلك الحياة التي عاشها هو ، تلك الحياة السهلة الخداعة الزائفة التي مهما تراءى فيها من مخايل العزة ، فهي ليست بالعزيمة أصلا ، بل هي عين الدل والتدهور والضياح . فكيف ينقذ ولده من وهدة هذه الحياة ، كيف ينذره بشرها . كيف يجنبه عواقبها . كيف يجعل منه الرجل الشهم الأبى الأنوف الذي لم يستطع هو أن يكونه بالأمس ؟ ! .. لا سبيل الى ذلك الا أن يزوج محسن بـ «نادية» ... نادية وحدها هي التي يمكن أن تسعد ابنه الوحيد الغالي ! واتفق خيال عبد الرحمن وتمثل نادبة ، ثم تمثل على الفور أمها بنت عمه عطيات ! ... وكثرت به الذكري الى أيام حدائته . أيام كان

يرتد على بيت عمه ويجلس الى عطيات ، ويملا قلبه من صفاء نفسها ، ورقة طبعها ، وحنان روحها ، ومن سحر ذلك الخضر القلق البديع الذي كان ينسكب كيقظة الفجر عليها ! .. وتصور عطيات وهي ترحب به ، وتبتسم له ، وتقدم اليه قدحا من الشاي أو القرفة ثم تدعوه في ليالي الشتاء ليشترك معها ومع أهلها في لعبة بريئة . وتصورها أيضا وهي منهمكة في اللعب تجمع بيدها الرخصة خصلات شعرها وتعتقد حوله كعادتها شريطا من الحرير الأزرق قتيبدو في صفائها الغامر شبه ملك طاهر . لماذا لم يزوج عبد الرحمن عطيات ؟ .. لماذا آثر المال على الأخلاق ، والطمع على القناعة ، والمادة على الروح ؟ .. لو انه كان أنبل نفسا ، وأرجع عقلا ، وافتقر بعطيات لكان اليوم ولا ريب هائثا وقريرا سعيدا كزوجها محمود ! ... واذن فيجب أن يتدارك في شخص ولده ما فاتته هو من نعيم روحي مكفول ! .. يجب أن يزوج ابنه محسن من نادبة بنت عطيات وإن كان والدها موظفا متواضعا لا يملك غير مرتبه ! ... أية قيمة للمال . القيمة في الفتاة نفسها . وإن نادبة لتشبه أمها شبها عجيبا . فلها نفس رقة عطيات ، ونفس عذوبتها ، ونفس حنانها وكرم سجاياها ومئات أخلاقها . فهي التي يجب أن يرتفع في سبيلها عن دعوة المال وأغراء الترف الممثل في تلك الفتاة الثرية المتغطرة المتعجرفة «روحية» التي اختارتها له أمه على صورتها ومثالها .

لكات

اليوم يوم عطلة وفكرية هانم في زيارة احدى صديقاتها ومحسن لا يزال في البيت . فاقترب عبد الرحمن من باب حجرة المكتب وناداه . وما ان أقبل الفتى حتى أسرع والده وجذبه من ذراعه في رفق ثم جلس وأجلس ابنه تجاهه وقال له :

— اسمع يا بني ، أنت تعلم كم أجبك ، وكم أكون سعيدا بأن أراك موقفا في مستقبلك وحياتك . أنت تريد أن تزوج ، حدثني بهذا أمك . قالت لي انها اختارت لك روية بنت الوجه الثرى حامد بك . ولكن هل لاحظت أنت روية جيدا ، هل تأملتها ، هل أمعنت النظر في أخلاقها وطباعها ، هل أحسست انك تستريح حقا اليها وانها هي المرأة التي يمكن أن تسعدك وتعاونك وتصبح شريكة لحياتك ؟ ... فأطرق الفتى برأسه ثم رفع بصره الى والده وقال : لا أرى في روية شيئا يتقصص من قيمتها .

انها متعلمة ومن أسرة كبيرة ، والوالدها يملك مائة فدان ، وثلاث عمارات كبيرة في أجمل وأرقى أحياء العاصمة . ثم ان لها شقيقا واحدا ، فنصيبها اذن في تركه ولدها بعد وفاته لا يستهان به ...

فقطب عبد الرحمن حاجبيه ثم حدق في ولده وقال :

— واذن فثروة الفتاة هي التي تهلك لا الفتاة نفسها ! هو ذاك ... أنت تطمع في المال ، تريد أن تزوج المال . لهذا تعصب عينيك بيدك وتأبى أن تنظر الى حقيقة الفتاة التي اختارتها لك أمك . أتذكر ما وقع منها بالأمس حين دب النزاع بينك وبين روية حول قيمة الشبكة التي يجب أن تقدمها اليها عند الخطبة ؟ لقد تطاولت الفتاة عليك وصرخت في وجهك ، وقالت ان مثلها لا يمكن أن تقبل مثل هذه الشبكة الوضيعة التي لا يزيد ثمنها على خمسمائة جنيه . ثم رمتك بعبارة نائية لاذعة شعرت أنا أن فيها اهانة لك كما شعرت أنت ولا ريب بهذه الاهانة . ولكنك ابتلعت الاهانة وطأطأت الرأس صاغرا . ثم مضيت بعد ذلك تلاحق أمك في لفقة وتطلب اليها الاسراع بإحضار شبكة عظيمة تليق بمقام الست روية . فغضبت أمك نفسها لمغالاة الفتاة . فعدت أنت وتوسلت اليها مستعطفا متذللا خشية أن تنفر منك روية فتفقدوها وهي الدجاجة التي تنتظر أن تبيض لك كل يوم ذهباً ... فأنت قد احتملت الاهانة واحتملت الذل حرصا على مال روية ! ... وهذا الحرص على المال سيجعلك تحتل غدا أضعاف ما احتملت بالأمس . فهل مات احساسك ، هل ماتت كرامتك ، هل أصبحت في عين نفسك رخيصة الى هذا الحد ؟ ... تكلم ... فارتجف الشاب وظل لحظة صامتا ، ثم تفرس في وجه والده فجأة وغمغم :

— أفهمك ... أفهمك تماما ... أنا أعرف انك لا تريد أن أتعذب أنا أيضا ... ولكنني أشعر بأنني قوي وإن في سعي أن أنزوج روية دون أن استضعف أمامها فأمكنها من أن تستعبدني بمالها .

فصرخ عبد الرحمن :

— ولكنها تستعبدك منذ اليوم . ولو انك كنت حقا قويا لما احتملت تلك الاهانة وطأطأت رأسك . ان من يهن يسهل الهوان عليه ، ومن يألف الذل فلا بد أن يجرع كأسه حتى الشمالة . فشب الى رشده وانقذ من الآن كرامتك ورجولتك واستمع لنصحي وتزوج نادبة . انها مثال الطيبة

والطاعة والقناعة ، وهي وحدها التي يمكن أن تسعدك . أنت لم ترها ، ولم تقم بزيارة أهلها منذ أكثر من ستة أشهر . فتعال معي ... تعال معي نذهب إليهم ...

فأجفل محسن وقال :

— غدا ...

فنهف عبد الرحمن :

— بل الآن ... أبريء ذمتك نحو نفسك ، لا تغلق بيدك بابا قد يكون فيه خلاصك . أنظر وتأمل وامتنح وقارن بين الفتاتين قبل أن تتورط فتندم . تعال ... تعال معي ... وقيل أن يعود الشاب فيتردد ويمانع ، تأبط عبد الرحمن ذراعه ومشى به الى الخارج دون أن يوجه اليه أية عبارة أخرى يحاول بها التأثير عليه ...

... .

ان دق عبد الرحمن جرس الباب وفتح له الخادم ، حتى أبصره محمود زوج عطيات . فخف لاستقبال الرجلين . ورحب بهما ، وأدخلهما حجرة الصالون ، وجعل يستفسر عن صحة السيدة فكرية هانم ، ويهنئ محسن بالمنصب المرموق الذي أسند اليه ، متمنيا له مزيدا من النجاح والتوفيق . وترامت أصوات الجماعة الى سمع عطيات فعرفت فيها صوت ابن عمها عبد الرحمن . فأقبلت بادية البشر تغلو وجهها تلك الابتسامة الخفيرة الصافية ، وتعتقد حول شعرها تلك الشريطة الحريرية الزرقاء التي ظلت طابع زيتنها منذ أيام حداثتها . فتأملها عبد الرحمن وهي تصافحه وتصافح ولده ثم تجلس في هدوء . فالتصمت أمام عينيهِ جميع صور الماضي حافلة بالذكريات ، مليئة بالعبرات ، جياشة بالحسرات . فتنطلق أيضا الى الزوج ، الى محمود ، فألفاه متهلل الصفحة مشرق الوجه سعيدا . فحنى رأسه في انكسار واشتدت حسرته على حظه . ولكنه ما ان تحول ووقعت عينه على ولده وذكر المهمة التي جاء من أجلها حتى تماثلت نفسه وكبح جماح عواطفه ، وابتسم ابتسامة رقيقة وهو يستفسر عن نادية . فصاح محمود في مرح وإبتهاج ان نادية تحضر بعض الفطائر التي أعدتها بنفسها صباح اليوم ... ودخلت نادية تحمل صينية رصت عليها أكواب الشاي وأطباق الفطائر ، وتقدمت نحو عبد الرحمن ولده وحيتها بابتسامة رشيقة من رأسها وهي تردد : « أهلا وسهلا » ...

وتناول كل من الرجلين نصيبه من الشاي والفطائر . فوضعت نادية الصينية على المنضدة أمامها ثم جلست بجانب أمها ساكنة صامتة ،

مسيلة العينين ، متضرجة الوجنتين ، تحسن أن محسن يسارقها النظر ، فتزداد وجتها تضرجا ، وتزداد أهدابها انطواء ، وعيناها تحديقاً الى الأرض .

محسن لا يفتأ ينقل طرفه بين الفتاة وأمها . كان متعجبا بل شبه مذهول . كان مأخوذاً بالتشابه العجيب في النظرات والحركات والأوضاع بين نادية وعطيات ، وحتى في تلك الشريطة الحريرية الزرقاء التي عقدتها الفتاة حول شعرها . وكان يحسن تماما ما كان يحسه عبد الرحمن فيما مضى . وكما كان عبد الرحمن يرى في عطيات صفاء النفس ورقة الطبع ، وحنان القلب ، كذلك كان محسن يرى في ابنتها نادية نفس الألوان والأصواء تسطع وتوهج ، وتألّف منها هالة نورانية تطوق وجه الفتاة الساحر البهاء ! ...

وفي نظرة متعثرة ونبرة حادة شخص محسن الى نادية وطلق يشني على الفطائر المتقنة التي صنعتها بيدها . فاستضحكت الفتاة ، وتورد مجاها خجلا . وجعلت تشكر الشاب في عبارات وانية متقطعة وتغزو اتقان صنع الفطائر الى النصائح التي زودتها بها أمها ...

تتكلم بصوت خافت عذب رخيخ ، فكان صوتها يشيع حولها جوا ساحرا غريبا ، يأمر محسن ، ويملك عليه قلبه وحواسه ، ويدفعه في الوقت نفسه الى مقاومة تأثير هذا الجو ما استطاع . بيد أنه كان يحسن على الرغم منه أنه يتمنى لو يعيش أبدا في هذا الجو المترقق من كيان الفتاة كالماء ، الزافر من حديثها كالطواء ، الصادح من ضحكاتها كالموسيقى ، اللامع من عينيها كالبراءة ، الساري في صوتها الخافت العذب كهمس الخواطر ، أو غمغمة الجداول أو سوسة الحلي ! ...

واستشعر عبد الرحمن ما يعتل في نفس ولده ، وأيقن أن صفاء الفتاة ونقاء سريرتها وطهارة روحها قد خلبت لب الفتى . فغمره احساس عميق بالارتياح أثلج صدره وكاد يبلغ به حد الانتشاء والفرح . ولكن كلمة بدرت من محمود أشار فيها الى «روحية» والى احتمال عقد خطبتها على محسن ، هذه الكلمة العابرة أرجفت عبد الرحمن ، وزعزعت في لحظة يقينه ، وبددت أمله وفرحته ، اذ أبصر محسن ، وكأنه قد استفاق من دوامة التأثير الذي أحدثته نادية في نفسه ، يتنفّض وتبرق عيناه وتنبسّط أساريره ويعاوده مظهر الكبر والزهو والاعتداد بأن في وسعه أن يصبح في غد زوجا لروحية ، أي لفتاة ثرية ومترفة ولا معة ومن أرقى الطبقات ...

أن محسن لم يكذب بسمع اسم روحية ينطق به محمود حتى تلاشت أمامه صورة نادية وانبثق في مسرح خياله بغثة طيف روحية . فتمثلها نابضة حية ، وجعل يقارن بين الفتاتين لا في الجوهر بل في العرض ، ولا في الحقيقة بل في المظهر ، ولا في الروح بل في المادة . جعل يقارن بين ما تختال فيه روحية من ثياب أنيقة وفلاند ثمينة وحلي نادرة ، وبين ما تبدو به نادية في ثوبها الكحلي البسيط ، وجوربها القطني الرخيص ، وهيكلها العاطل من كل زينة تنم عن اليسر والسعة والاقتدار .

واستبد طيف روحية بخيال محسن . فتملح الشاب فسي مجلسه وهم بالهوض . فأدرك عبد الرحمن كل ما جال بخاطر ولده . أدرك أن سلطان الترف بل سلطان الطمع والجشع ما يزال مسيطرا على نفس محسن يحول بينه وبين الاستجابة الصادقة لفضائل البساطة والبراءة والظهر السني تتفجر كالنور من شخص نادية . فاختلج الرجل وأحس بانهايار أمله وفشل تجربته . فتحول نحو بنت عمه عطيات وعز عليه أن يرفض ولده السعادة التي تقدمها له فتاة مثالية انجبتها هذه المرأة الفاضلة الكاملة . فتمزق قلبه لوعة وكدا ولم يسعه الا أن ينهض مستأذنا . فنهض محسن أيضا وحيا الرجلان أفراد الأسرة وانصرفا ، ومحمود يشيعهما بعبارات رقيقة ، وعطيات تدعو لمحسن بالتوفيق في حياته الزوجية المقبلة ، ونادية وقد توارت خلف أمها تتسم للضيفين وتحييهما بابتسامة خفيفة من رأسها .

وما ان انطلق الرجلان واستقبلا الشارع حتى عجز عبد الرحمن عن ضبط عواطفه فصاح في ولده :

— لماذا كنت قلقا ولماذا تعجلت الرحيل ؟ ... ألم تعجبك الفتاة ، ألم تتأثر ولو قليلا بما كان يتمجلى في نظراتها وحركاتها من روعة البساطة والبراءة والظهر ؟ أما زلت مأخوذا بروحية وبما يجذبك فيها من سحر المال وأبهة الترف ؟ ... انها ليست امرأة . انها مخلوق أناني ، مزهو بنفسه ، شرس الطبع ، فظ الخلق ، لا قلب له ولا احساس . فانتبه وتبصر واذكر الاهانة التي لحقت بك منها واقطع صلّتك بها حالا .

وتأد عبد الرحمن فترة ثم عاجل ابنه بقوله : — أتريد أن أخطب لك نادية ؟ ... فوجسم الشاب وأطرق ثم رفع رأسه ولوح بيده وقال :

— دعني أفكر ... بضعة أيام ... يجب أن أفكر ... فطغت موجة من المرارة على صدر عبد الرحمن وقال في استنكار وتقرز :
— أنت وشأنك ... تزوج روحية ... ولكن اعلم انك ستقترن بجلاّد ... يوحش ... جلاّد لا بد أن يخفّك ، ووحش لا بد أن يفترسك !
فارتعش الفتى ولكنه هز كتفيه غير حافل . فغشت سحابة من الحزن وجه عبد الرحمن ، وكف عن محاوره ولده . أما محسن فقد أثاره من أبيه تحامله على روحية ، فاشتد استمساكه بالفتاة واعتزم فيما بينه وبين نفسه أن يبذل قصاره كمي يستعجل زواجه منها .
وواصل الرجلان السير في اتجاه منزلهما وعبد الرحمن ساهم شارد ، ومحسن مشرق الطلعة ظافر النظرة . واثق كل الثقة من أن أمه لا بد أن تكون قد حست خلافه مع روحية ووعدت الفتاة بشبكة عظيمة جدية بها .
وكان الوقت ظهرا والجو صحوا والشمس خريف تداعب غصون الأشجار المتناثرة في حديقة البيت . فلما نفذ الرجلان إلى الحديقة أخذت عينا محسن زهرة مشوقة القد وردية اللون تترنح بمفردها فوق شجيرة بدأت تتجرد من أوراقها . فقال الشاب إلى الزهرة واقطفها وفي نيته أن يقدمها إلى والدته . ثم وثب إلى مدخل البيت جذلاّ من متبهجا ودفع الباب . ولكنه ما أن توسط البهو الكبير متبوعا بوالده . حتى تراجع منهشا ومبهوتا وحمد . أما عبد الرحمن فلم يكن بأقل من ولده دهشة وذهولا . ترامت إلى سمع الرجلين من غرفة الصالون صرخات متقطعة متعاقبة متدافعة تنبعث من امرأتين هما فكرية هانم وفتاتها الأثيرة الآتية روحية . وكانت الصرخات مصحوبة بكلمات لاذعة ، وألفاظ متعالية ، وعبارات ملوها الكبر والتهكم والسخرية . فأنصت الرجلان وقد اشتد بهما الدهش والذهول . فاخترق سمعهما صوت فكرية هانم تقول :
— أنت مجنونة ... مجنونة ولا ريب ...! ما كل هذه المطالب التي يتشبث بها خيالك الطائش ؟! .. شبكة قيمتها ألف جنيه ، ومهر لا يقل عن ألفي جنيه . وفيلا مستقلة في أفخم الأحياء ، وحفلة عرس عظيمة تنفق فيها أيضا مئات الجنيهات ... ولكن من أين أجبتك بها ؟ ... انها فوق طاقتي ... انها تخرجني ... انها تجر الخراب علي وعلى ولدي . فهل تريدني أنت بهذا الزواج تدمر حياتنا ؟ ...

أنت طماعة ... أنت مغرورة ...

فصاحت روحية في غضب :

— المغرور هو الذي يتطلع إلى مستوى أرفع من مستواه . لماذا تقدم إلى محسن ، لماذا أراد أن يصاهر أسرتنا الكبيرة ، لماذا لم يبحث له عن زوجة تكون بنتا لموظف أو تاجر أو ...

فقاطعتها فكرية هانم وقالت صارخة :

— لسنا بأقل منكم مكانة وشأنا . وفي وضع محسن أن يقترن بفتاة من أرقى العائلات .. ولكني أنا التي اخترتك أنت زوجة له ، وأنا الآن آسفة ونادمة على هذا الاختيار ..!

فأرسلت روحية قهقهة مدوية وقالت :

— ستندمين غدا أكثر ، ومحسن سيقبل في غد جميع مطالبتي .. وسيعود .. سيعود ممثلا وصاغرا ويطلبني ..!

وساد صمت زافر عميق ، ثم سمع الرجلان وقع أقدام متعجلة متهافة . فأدركا أن روحية قد غادرت الصالون وانصرفت من الباب الخلفي المؤدي إلى الشارع . وعندئذ وثب محسن من مكانه ودفع الباب في عنف ، ودخل الحجرة متجها نحو أمه وفي أثره والده .

فصاحت فكرية هانم :

— أنت ؟! ...

فقال محسن في هدوء :

— كنا هنا وسمعنا كل شيء ..!

واهتز بدنه اهتزازا عنيفا وصدى كلمات روحية ما يزال يرن في أذنيه ، وانتقد وجهه فجأة واندلعت عيناه وقال في صوت قاطع وعزم مكين :

— لا أريدها ...! لا أريدها ...!

فأبرقت أسارير عبد الرحمن ، وانتعش فسي قلبه الأمل . وهم بالكلام . ولكن فكرية هانم ، فكرية الشامخة المعززة المتحكمة المستبدة ، صرخت في ابنها على الفور :

— سأزوجك بمن هي أغنى وأرفع وأجمل ألف مرة من روحية ... سأزوجك بسهام بنت المرحوم شاكِر باشا ... وريثته الوحيدة في ثروته الطائلة ... يجب أن تزوجها ...! هذه كلمتي ..! ولا أقبل أي اعتراض عليها لا منك ولا من أهلك ... الليلة ... سأذهب الليلة ... سأخطب لك الفتاة ..! فحدق الشاب إلى أمه وقال في سكون :

— لقد اخترت أنا لنفسي ...!

فخفق قلب عبد الرحمن . وصاحت المرأة مستنكرة :

— ماذا تقول ؟! ...

فقال محسن ثابتا ومؤكدًا :

— سأزوج الفتاة المتواضعة البسيطة البريئة ، سأزوج نادية بنت الأستاذ محمود ... انها من أسرة والدي ، انها من لحمي ودمي !

فصرخت فكرية هانم :

— أبدا ... أبدا ... هذا لن يكون ...!

فقال محسن :

— بل هذا هو عزمي ...!

وفي تلك اللحظة ، في تلك اللحظة الفاصلة ، ولأول مرة بعد عذاب السنين الطوال التي تجرع فيها عبد الرحمن من امرأته الجبارة العاتية شر ضروب المذلة والهوان ، دنا الرجل منها ، وانبعث فيه قوة غلبة قاهرة ، وقال في صوت حاد المخارج باتر النبرات :

— لن يتزوج محسن بغير نادية . هذه ارادته وهي أيضا ارادتي ...!

فأسرع محسن وقال :

— سأطلب الفتاة من والدها ... سأطلبها قبل أن يظفر بها غيري ...!

فاستشاط غضب فكرية وهاج هياجها وصاحت :

— اذن خذها ... خذها ولكن لا تطلب مني قرشا واحدا ... لن أعاونك ولا بقرش واحد ...!

فصرخ محسن :

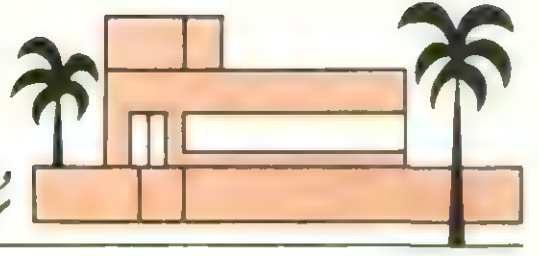
— لا أريد مالا من أحد .. سأعتمد على نفسي ... سأزوج نادية ... سأزوجها من كد يدي وعرق جبينتي ...!

فروع الأم لما سمعت ، وهالما أن يتألب عليها الولد والده ، وأيقنت أن مشيئة الرجلين هي التي ستفد غدا . فاختنقت أنفاسها ، وأحست ان شعور القهر يوشك أن يبلغا ويرزعزع أعصابها . فلم تستطع أن تحتمل .. فاندفعت مهرولة صوب مخدعها وصبغت خلفها الباب .

وَأَلْفَى ألفى عبد الرحمن نفسه بمفرده تجاه ولده . وألْفَى الشاب قويا وثابتا على عزمه ، أحس أن حصرته المريرة على ماضيه قد تقلصت من صدره ، وإن ذلك الماضي البغيض قد مات وبعث حياة جديدة سعيدة ممثلة في مستقبل ولده . فجاشت عواطفه ، وفاض بالفرح قلبه ، فارتدى على محسن وقال له :

— ان عزمك يا بني راغبي ...! ولقد عرفت فيك ما كان يجب أن تكون عليه نفسي ، بل قد التقيت اليوم فيك بأحلامي الشريفة وآمالي الضائعة ...!

وعانق ولده مختلجا وملهوفا ، وانهمرت من عينيه الدموع .



فن المحادثة

بقلم البيرة دموع ناصر

المحاضرة فن اجتماعي يمارسه الأفراد كافة ، فهو ليس وقفا معينا على فئة من الناس أو مقصورا على طبقة من المجتمع ، وإنما هو حق يتمتع به كل مكتمل القوى العقلية ، قادر على النطق . فلكل امرئ حق الكلام والاسترسال في الحديث عما يعن في خاطره ويختلج في نفسه مع مراعاة القوانين والأنظمة الاجتماعية والعادات التي يتقيد بها مجتمعه . رب سائل يقول : هل للكلام أو الحديث شروط أو نصوص يتعين على المرء اتباعها والالتزام بها ؟ نعم ان الفرد الذي يشد الانسجام مع أهله والوثام مع أصدقائه والمحافظة على تقاليد بيئته ، عليه أن يراعي نظم المجتمع الذي يعيش فيه ويحترمها كل الاحترام . فقبل أن يستهل المرء أي حديث ، ينبغي عليه أن يفكر مليا ليجعل حديثه مشبعا وموافقا نسبيا لرغبات الحاضرين وميول المستمعين . فالشاعر مثلا لا نحدثه عن التجارة ونشاط أسعارها وأسواقها . كذلك الشخص العامي لا نحدثه بأسلوب سقراط أو أرسطو .

ان المتحدث اللبق ، أو المتكلم الرزين هو ذلك الذي ينتقي المواضيع الملائمة والأحاديث المناسبة التي تعطي المجلس

مجالا للاشتراك والمساهمة في تبادل الرأي وجهات النظر . فهناك كثير من الأفراد لا يجدون مجالاً للمشاركة في ابداء الرأي فبدلاً من التزامهم الصمت والسكوت فانهم يلجأون الى تصفح الجرائد اليومية والمجلات الشهرية ليقفوا على ما يدور في العالم من أخبار وأحداث اجتماعية ، كما يلجأون الى سماع الراديو ومشاهدة التلفزيون باعتبارهما من الوسائل الفعالة في تنمية قواهم العقلية وتوسيع مداركهم وانعاش معلوماتهم العامة ، وتنمية المادة السليمة تساعدهم على تجاذب أطراف الحديث ومشاركة الجلساء والحاضرين الرأي . فاذا كان الفرد ضيق الأفق ، ضعيف التفكير وغير لبق في الحديث فانه لا يحظى باحترام الآخرين وتقديرهم . كما ان هناك أفرادا كثيرين يعنون بمظاهرهم الخارجية ، ويتفاخرون عن الجمال العقلي والجمال الخلفي اللذين يمكن الحصول عليهما بالدراسة والمطالعة والمثابرة والاجتهاد والكفاح الدائب . من منا ينكر أن الأفكار كالأزهار والأثمار تنمو وتنضج بالتعهد والعناية ؟ وبما أن العقل حقل خصب يمكننا أن نجني منه ثمار الفوز والنجاح ، والنجاح هو غاية الانسان في هذا الوجود .

والمتحدث اللبق لا يهتم فقط بمادة موضوعه ، وأناقة اللفظ ، وحسن الصياغة ، ولكن يهتم أيضا بالروح التي يتحدث بها ، فيتحدث بجرأة وثقة ليصل الى أعماق المستمعين ، ويكشف عما يسرهم فيشتركون في الحديث من غير أن يدروا ، وتعم البهجة جو الجلسة . ولا يصعب على أي شخص أن يكون محدثا محبوبا اذا تغلب على العادة الرديئة التي تستبد بألاف منا ألا وهي عدم الاهتمام باكتساب الصالح من الأفعال والأقوال وعدم ازعاج أنفسنا باحترام آراء الآخرين ضاربين بأفكارهم عرض الحائط . والشيء الوحيد الذي ننتهج به ونخوض في الحديث عنه ، وليس أقرب الى قلوبنا منه ، هو المغالاة والافتخار بشخصياتنا والتبجح بجيد طعامنا ، وصغر أعمارنا ، كل فرد يغرق في أحاديث تافهة كهذه حتى ليخيل للسامع أن حب الثناء من الناس ومن أنفسنا لأنفسنا احدى الغرائز .

حبذا اهمال كلمة أنا . لبتة يأتي ذلك اليوم السعيد الذي تبطل فيه الأنانية . فلا نعيش لأنفسنا فقط بل للجميع ، لأنه ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط . من منا لا يلتقي في المجتمعات التي

جَمَالُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ

البُشُور

من العيوب الطفيفة التي تنغص حياة بعض الشابات ، وتبعث القلق والازعاج في نفوسهن ، هي « البثور » . فهذه البثور التي تظهر في وجهك يا سيدتي سرعان ما تنطفئ وتندثر اذا لم تفقأ حببياتها قبل نضوجها واذا لم تنزع ، قبل الأوان ، القشور التي تعلوها . فعندما تنظرين يا سيدتي في المرأة وترين حبيبة أو بثرة في وجهك لا تعتبرها مفسدة أو عيبا لجمالك . فحاولي الا تفقشيها أو تزعيها بطرف ظفرك ، والا عادت البثرة أكبر مما كانت عليه ، وتركت أثرا بارزا في ملامح وجهك .

ان فقىء الحبة أو البثرة التي تظهر في الوجه لا يحل المشكلة بل يزيدا تعقيدا .. والأفضل أن تستشيرى الطبيب ، أو الا تعبى بها ، على الأقل .

بعقلنا وعيوننا وآذاننا ووجهنا دليل ساطع على تهذيبنا واحترامنا للغير ، كما انه شاهد على ذكائنا ، « عامل الناس كما تريد أن يعاملوك » . ومن منا لا يتألم عندما يتبدى بحديثه ويرى أحد الحضور لا يصغي اليه أو ينتبه له ؟ فلنصغ ولننتبه لكل محدث مهما كان نوع حديثه ومهما كان مركزه العائلي والاجتماعي . الحديث فن والاصغاء كذلك فن . فمن يتقن الفنون بالاعتدال فيهما أمن شر الاسراف في أحدهما .

لنجهتد في محاربة الاستهزاء ، هذا الداء الويل الذي يستحوذ على ألوف منا . هذه خلة رديئة قتالة للروح ، كما انها هدامة للصدقة والألفة . لا تبخل بشئائك ومدحك على الآخرين ، فلا يخلو فرد من مواهب كجمال جسدي أو جمال روحي أو عقلي ، فالناس متعطشون للشئاء ، ولكن ليكن ثناء صادقا وأميناً لا تملقاً وخداعاً .

الحديث انعكاس شخصية المحدث فلنجهتد بجعل الحديث رائعا جذابا ولا يكلفنا ذلك سوى الأخذ بالمبادئ التالية :

- ١ - اجتناب التبجح والتفاخر لأنهما دليل ساطع على صغر المتصف بهما .
- ٢ - عدم -مجادلة الجاهل والمغرور لا احتراماً لهما بل احتراماً لأنفسنا .
- ٣ - الاحتراس من انتقاد الآخرين فلكل منا مثالب .
- ٤ - ليكن المرء لطيفا مهذبا عند السؤال والجواب .
- ٥ - عدم مقاطعة الآخرين أثناء الحديث .
- ٦ - التأكد من صحة ما سنقول .
- ٧ - الامتناع عن الرطانة الاعجمية في الحديث لأنها دليل على أن المتحدث يود اظهار مدى معرفته .
- ٨ - القراءة المستمرة في كل باب يدور حول مجتمعنا لنكون ملمين بما نتحدث به وما نصغي اليه .

يحضرها بأفراد صامتين لا يتكلمون ولا يشاركون في الحديث ؟ والسبب الوحيد الذي عقد ألسنتهم هوأما الحياء أو جهل ما يدور حولهم . فالفرد الذي بإمكانه أن يدخل أعماق النفس بثاقب نظره يتقرب من شخص هذه صفاته ، ويحييه بوجه باسم ويتعرف اليه فيرتاح له الآخر ويشاركه حديثه دون ما يدري .

كثير من الأحيان يسأل الفرد منا سوألا علميا فيحمر وجهه ويرتبك ويتلعثم اذا لم يستطع الجواب . لم هذه الحيرة ؟ هل ينتظر من كل شخص أن يلم بعلوم الأولين والآخرين ؟ أليس من الأسهل والأبسط أن يقول ببساطة وأمانة اني آسف لا أدري - فيحترم لصراحته واعترافه ؟ للمحادثة وقع عظيم وتأثير بليغ اذا راعينا شروطها وراعينا شعور الآخرين .

هل يمر يوم دون أن نسأل أسئلة شخصية وعائلية لا نرغب مطلقا في الاجابة عليها ؟ هل يمر يوم دون أن نخدش بانتقادات لاذعة ؟ لم نتحدث عن سيئات الآخرين بينما نعتصم بالصمت عن حسناتهم ؟ طوبى للأفراد الذين يشغلهم عيبهم عن عيوب الآخرين . لكي نجنب سوألات طفيلية كهذه وانتقادات فارغة ، علينا أن نغير مجرى الحديث بشيء من اللباقة ، أو بالأحرى لا نجعل السائل في موقف حرج بسوألنا اياه رأيه الخاص أولا ، وكل ذلك يتطلب تفكيراً ونباهة وحذاقة .

لقد ابتلي الكثيرون بمرض الكلام فلا ينتهي الفرد من حديث حتى يبدأ بالآخر ، ولا يعطي مجال الكلام لغيره فيسترسل بالحديث ويجره استرساله الى أفكار سقيمة تكون برهاناً على الجهل وعدم الاتزان ، ولقد قيل « اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب » . وليس فن الاصغاء أقل أهمية من فن الحديث ، فاصغائنا

الصفحة الخامسة

خوف

مرّ عثمان بن حفص الثقفي بأبي نواس ،
وقد خرج من علة مصفر الوجه ، وكان عثمان
من أقبح الناس وجها .
فقال له عثمان : ما لي أراك مصفرا ؟
فقال أبو النواس : رأيتك فذكرت ذنوبي
فقال : وما علاقة ذنوبك برويتي ؟
فقال : خفت أن يعاقبني الله فيمسخني مثلك .

إحياء

الأول : أقدم لك صديقي رعد بن مطر
الغيثاني .
الثاني : يبدو أن الواحد لا يستطيع أن يتعرف
به الا ومعه مظلة .



عائت الأسامي

مدير السجن للصوص : أذكروا أسماءكم .
الأول : شريف
الثاني : شرف
الثالث : أشرف
مدير السجن : أهلا وسهلا (شرفنوا) السجن .



لكن امرئ في نظريته

أراد ابن البخيل أن يركب « تاكسي » ولكن
والده أصر عليه أن يركب « الأوتوبيس » .
فقال الابن : أنت يا والدي لا تعرف الفرق
بين التاكسي والأوتوبيس .
الأب : بلى يا بني اني أعرفه تماما
ربع ريال !

منطق

الزبون : بكم التمر ؟
البائع : خمسة ريالات للصف المعبأ بالكيس
وريالان لغير المعبأ .
الزبون : حسناً أعطني من الصف الأول
واحفظ بالكيس .

وأنا كذلك

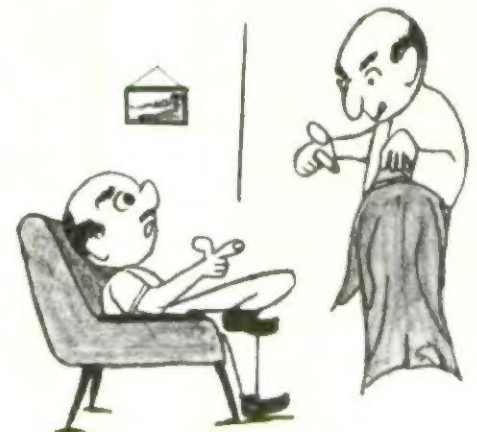
سأل صحفي قائدا عسكريا عن خطته الحربية
فرد عليه ..
القائد : أتحفظ بالسر ؟
الصحفي : نعم .
القائد : وأنا كذلك

ذكاء خارق

المعلم : بماذا تشتهر كوبا ؟
التلميذ : لا أعرف يا أستاذ
المعلم : أتذكر يا بني ما نضعه في الشاي عادة ؟
التلميذ : نعان يا أستاذ .

سؤال وجيب

الخدام الجديد : هل أرمي هذه الخرقه البالية
يا سيدي ؟
السيد : ماذا دهاك ؟ هذا معطفي .





القطّ والمُصيدة

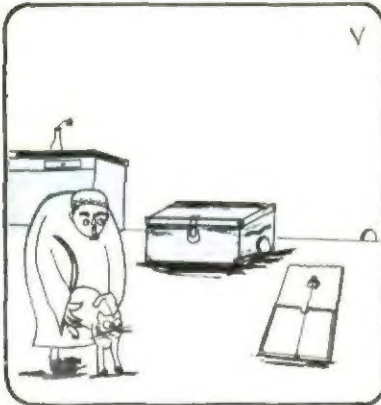
بربّه: عمام العمد



فأر له مكر الثعالب في ابتداء الحيلة
أبدا يرى في الليل يزرع شره في غروفي
يلهو بأوراقه وأدراجي وجلد حقيتي
ويزق القمصان والألواب يقضم خبزتي
ويذوق أطعمتي ويمعن في اختراع اذيتي
لا يرعوى لا يستحي بل يستغل سماحتي



لما تمادى بالأذى حيناً وضقت بحالتي
قررت منه الاقتصاص بل ارتكاب جرمي
فشرعت أرقبه بباصرتي أجل وبصيرتي
حتى ظفرت به يمزق في الخزانة سرتي
حاصرته فسجته ، ونجحت في صندوقتي
وتركته حتى الصباح لقتله وإراحتي
وغفوت مزهوا بفوزي بل نجاح مكيدتي



عند الصباح مضيت توا كي أحقق نيتي
فوجدته ثقب الجدار وفرّ يا لمصيتي !
اذ ذاك قررت انتقاماً سرت نحو القرينة
أحضرت قطاً جائعاً متولياً كاللصوبة
و « مصيدة » جلّتها ووضعناها في الحجرة
عند الماء ونمت مسروراً بثاقب فكرتي



لما أفتت نهضت كي أقفو نتائج خطتي
فوجدت أن القط ميتاً تحت قوس مصيدتي
والفأر يلهو ضاحكاً مني ومن أجولتي



شارع الخبر - الظهران تصوير: عبد اللطيف يوسف

